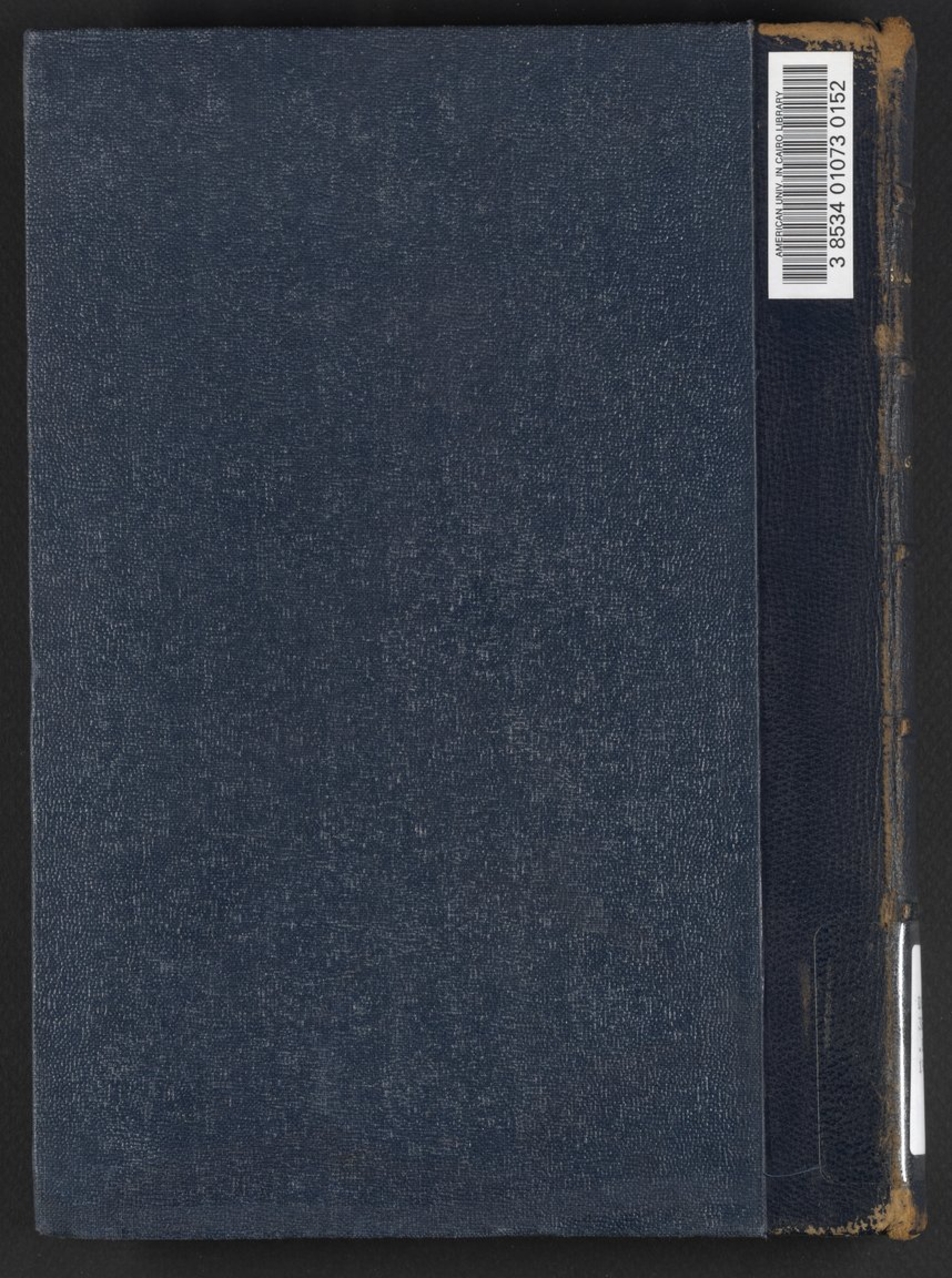
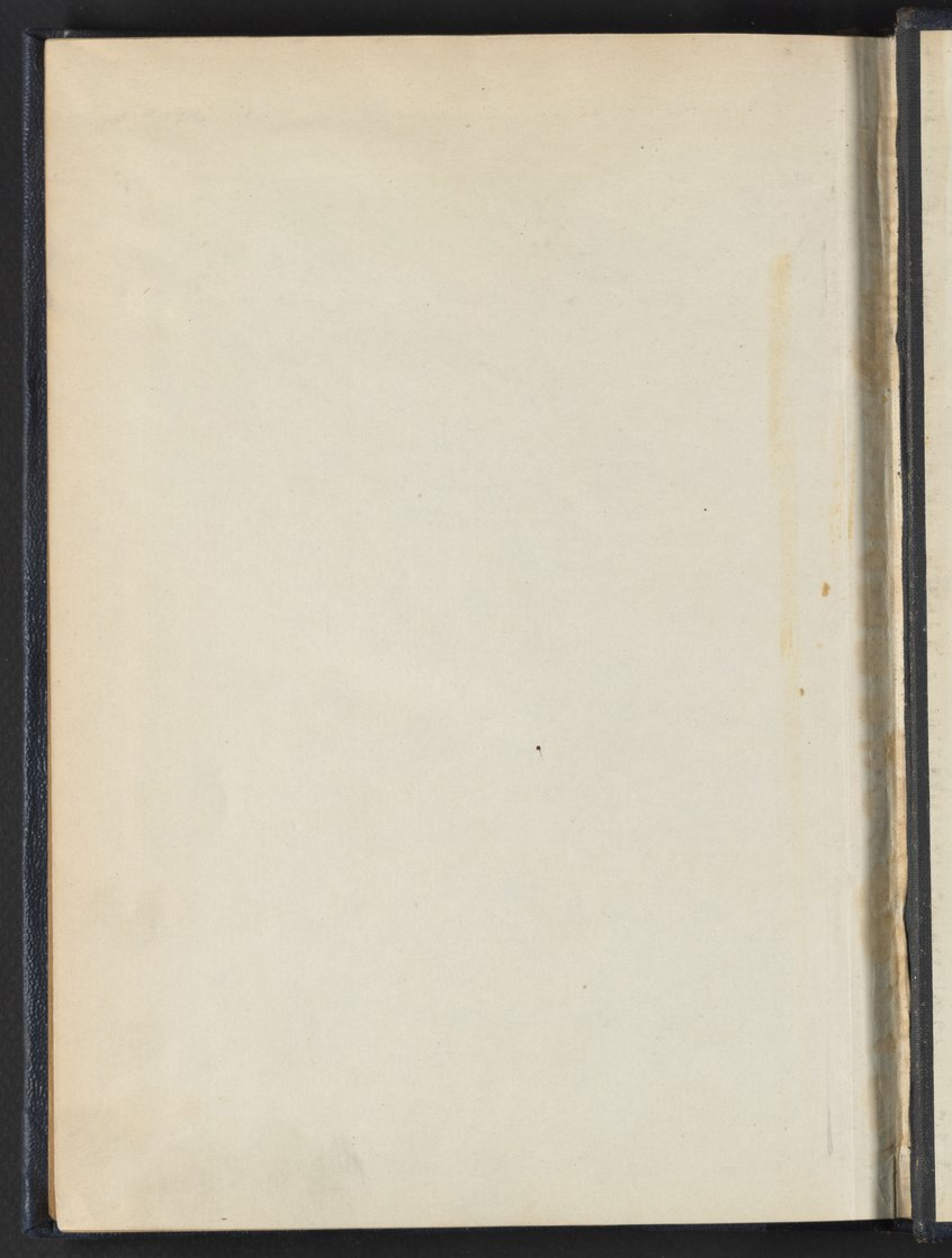
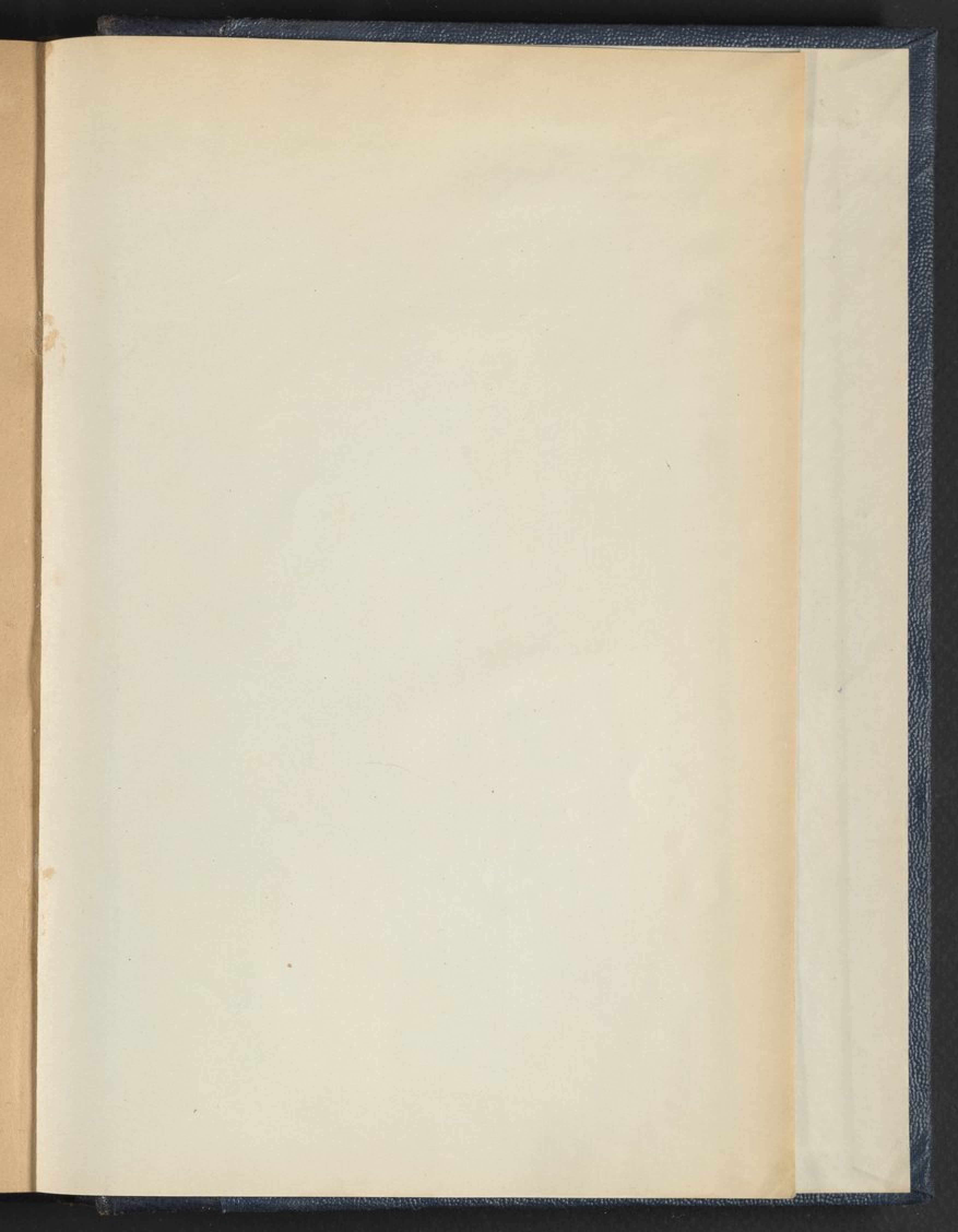

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01073 0152





نحو عروبة جديدة

* * *

تأليف
محمد البنداري
بوزارة الشئون الاجتماعية بمصر
والمدرس سابقا بالسودان

* * *

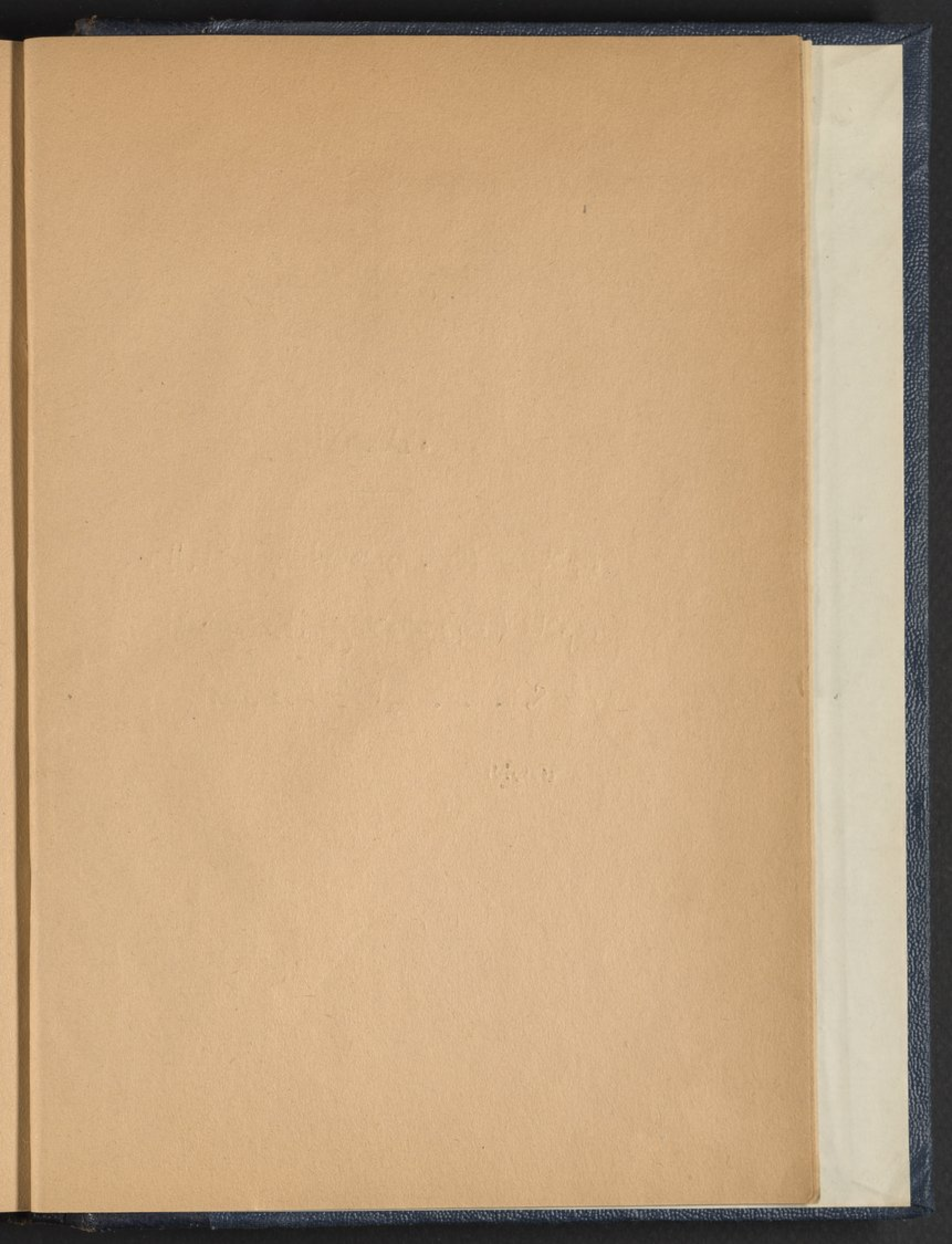
الاهـداء

« إلى الأحرار المجاهدين . والأعـلام »

« المصلحين . فى جميع بلاد العروبة والأسلام . »

« أهدى هذا الكتاب . . . ؟ »

البنزاه

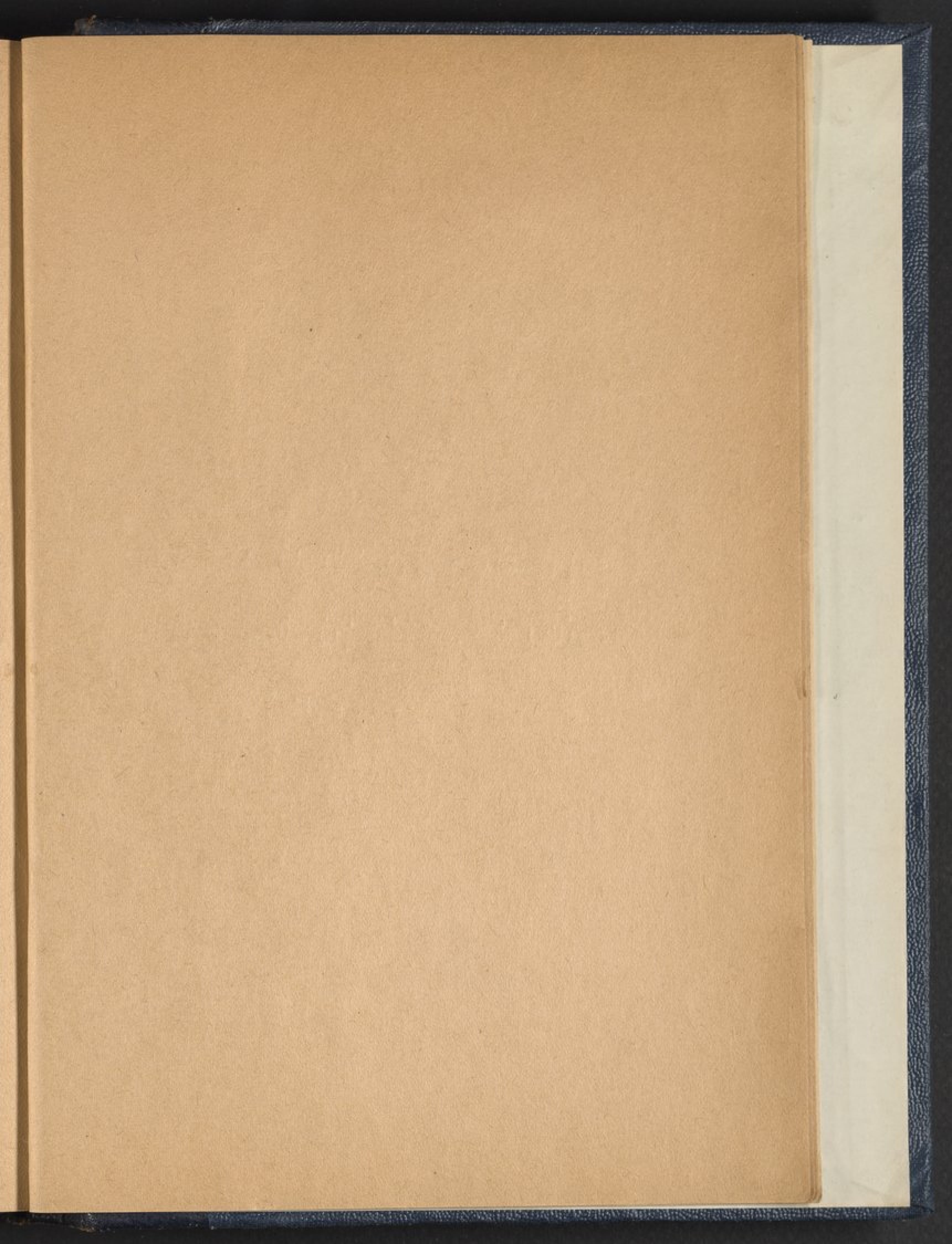


بسم الله الرحمن الرحيم

« رَبِّ اشْرَحْ لِى صَدْرِى * وَيَسِّرْ لِى »

« أَمْرِى * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى »

« يَفْقَهُوا قَوْلِى * »



العروبة الخالدة

تستصرخ بنيها اليوم

العروبة نفحة آلهية ، وهبتها السماء إلى الأرض لتكون مظهرا للكمال الانسانى فى أسمى معانيه - وبخاصة - أبان هبط على مصطفاها الملك ، واستضاء بنورها هذا الفلك ، حيث كانت أشبه بقصيدة من الغزل السماوى ، ونشيد من أناشيد الجمال ، ولحن من ألحان الخلود . . . كما كانت فى اعتدالها المادى ، ومزجها الدين بالدنيا ، حينما حصفت الممالك بعدلها ، ودعمت العمران بجليل أعمالها ، موردا عذبا للعلم والمعرفة ، ونبعا فياضا للحضارة والمدنية ، حتى تتلمذت عليها الأمم ، وأخذت عنها الشعوب . . . وسيظل التاريخ حيا فى المواهب السامية التى تجلت فى بنيها إذ ذاك ، والتى وضع الله بها معنى الخلود فى كثير من أعمال الانسانية العظمى .

****

ثم لما سكنت نأمتها فى المشرق والمغرب هنيهات من عمر البشرية الطويل ، حسب الناس أن بلبلها قد سكت ، وجامها قد تحطم ، ومجلسها قد تقوض ، وسامرها قد انفض ، وشملها قد تفرق ، فاذا بها سليمة الروح ، نقية الجوهر ، صلبة العود ، شجاعة القلب ، شديدة الطموح ، ملتئمة الشمل ، متماسكة الجوانب مضطردة النهوض .

****

أما اليوم فقد دار الفلك بها دورة ذات خطر وخطورة ، حيث الديار غير الديار ، والرسوم غير الرسوم ، والناس غير الناس ، فلقد تنكب بنوها بها الطريق الأقوم ، وفتحوا ثلمات دخل منها الأعداء بين صفوفها ، وتداعوا عليها تداعى الجياع حول القصاع ، فوقفت قلقة مضطربة تتأمل الفدافد التى ارتطمت بتلالها وصخورها ، وتتبين الكدمات التى رضرضت عظامها ، وهى ساهمة واجمة لا تهدأ ولا تنام ، وهل بعد أن أخذت أفاعى الأمم المسعورة بحمى الاستعمار تطل عليها من جحورها ، وأصبحت غربان الشعوب المنبوذة تستنفر فى آفاقها تنام لها عين ، أو يطمئن لها قلب !

****

من كان يظن أن اليهود الذين عاشوا خمسة عشر قرنا بين الأمم ، بخداع الثعلب ، وتملق الكلب ، وتلون الحرباء ، وهم فى عدائهم المستور ، لمختلف الشعوب - ثعابين من غير سم ، وبراكين من غير نار - أجل - من كان يظن أنهم يصبحون بين يوم وليلة فى ديار العروبة مستأسدين متنمرين ، ينهبون فلسطين نهبا ، ويطردون أهلها طردا ، ثم يتحدون العرب فى كل قطر من أقطارهم ، وبلد من بلادهم؟!!

****

فهل يسوغ لنا بعد هذا أيها العرب - أن نغمض العين لحظة ؟. لا لا . لا بد من اليقظة الدائمة ، لا بد من اعتصام بحبل الوحدة والجماعة اعتصاما لا انفصام بعده ، وإصلاح للشأن إصلاحا لا هوادة فيه ، وتسلح بأسلحة العصر من عدة وعدد ، وعلم واختراع ، فلقد علمتنا

الصهيونية أن العلم قوة ثورية هائلة على الأرض ، حينما أخذت عن الغرب روحه وعقله ثم جاءت لتطبقهما على أراضينا ، وأنه لا بد لنا من عروبة جديدة ، عروبة قوى مجتمعة تتدافع وتتواثب ، لابد من تقارب طيق يجعل الفرد للجماعة والجماعة للفرد ، ماحين غمرة الركود الذهني من أذهاننا ، والاعتماد على الغير من قاموسنا ، حتى تخفق رايات عروبتنا من جديد .

****

وأن العروبة الحبيبة إلى نفوسنا ، لو أردنا أن نصورها على حقيقتها لما كانت إلا على شكل طائر . له جناحان ، أحدهما هو الشرق العربي ، وثانيهما هو الغرب العربي - أما الصدر فمصر - كنانة الله فى أرضه - وبمقتضى هذا الوضع الطبيعي كان لمصر شرف الصدارة ، ذلك الشرف الذى اقتضاها تكاليف عظيمة ، وواجبات كثيرة على مدى الحقب والعصور ... وهى اليوم كما كانت بالأمس ، وفية للعروبة كما هى وفية للعلم والمدنية والحضارة ، ولا عجب فى ذلك ، فمصر مهد المدنية ، وأم العرفان ، على رنين أصواتها فى « طيبة » و « منف » استيقظ التاريخ الأنسانى ، وقد اختار الله منها لخليله ابراهيم عليه السلام زوجته « هاجر » كى تنجب له ابنه اسماعيل أبا العرب المستعربة كما اختار منها لنبيه محمد عليه السلام زوجته « مارية القبطية » لتنجب له ابنه ابراهيم ... وفى مصر وقف « صلاح الدين الأيوبى » يرد عادية الصليبيين ، ويرفع راية السلام ؛ بين النصرانية والاسلام ، وفيها أيضاً احتمى العلماء العباسيون الفارون من وجه التتار بعد سقوط

بغداد ، وفيها تلقى بنوها إخوانهم الأندلسيين الفارين من الفرنجة بعد ضياع الأندلس - بالعطف والترحاب ... ذلك لأن مصر هى الأمة الوسط التى تتساوى فيها كفة الدنيا مع كفة الدين ... وستحقق للعروبة آمالها إن شاء الله ، بفضل تآزر صناديد العروبة الأمجاد ، وتفانيهم فى

اصلاح أقطارهم و بلادهم حفظهم الله جميعا ووفقهم وأعانهم وأمدهم من فضله وكرمه . وأحسانه وجوده بروح من عنده وفضل من لدنه .

* * *

نهضة العرب قديما وحديثا

ودعائمها المتينـــة



وحدة تآزر تضامن

* * *

العرب سلالات من الجنس السامى ، نزلوا أول ما نزلوا بحضرموت واليمن ثم حطت رواحلهم بالحجاز ، ثم انتشروا فى سائر الأقطار العربية . . وهم كما أثبت علماء الأجناس أنقى الشعوب معدنا وأصفاها جوهراً ، ولهذا كانوا أهلا للكمال الأنسانى ، والهدى الالـهى ، فاصطفى الله منهم خيرة أنبيائه ورسله ، كما اختار منهم الملوك الذين

ملأوا الدنيا عدلا ، والعلماء الذين نشروا العرفان شرقا وغربا .. وأن ماضيهم المجيد طويل النفس فى القدم ، حيث يرجع إلى المدنية الأولى للانسانية ، ثم يتمشى مع الحضارة البشرية مسلسلا على بديه تاريخها فى مصر ، وبابل ، وآشور ، وقرطاجنة .

***

ولما كان العرب أباة الضيم ، لايخضعون لمستبد ، ولايخنعون لظالم ، اتهمهم غلاة المؤرخين ، ومتعصبو الفرنجة بالنزوع إلى امتشاق الحسام ، والخروج على الجماعة ، وهى فرية لا أساس لها من الصـــحة ، فهم لايتوانون عن الطاعة ، والاعتصام بحبل الوحدة ، اذا ما رأوا الرئيس الكفء العادل ، حتى فى جاهليتهم الجهلاء ، فهذا « قصى بن كلاب » فى القرن الخامس قبل الميلاد قد استطاع بحكمته وحسن رأيه أن يرد سيوف العرب إلى أغمادها ، ويجمعهم على رأى واحد فاستتب الأمن وصلحت شئون الناس ، وبنيت الكعبة من جديد ، — تلك البنية التى رفع ابراهيم واسماعيل قواعدها من قبل ، لتكون مثابة للناس وأمنا ، والتى هى إلى اليوم أقدس مكان لدى المسلمين ، كما شيد « دار الندوة » لتكون مكانا للشورى ، ومجمعا للرأى والتدبير ، — ثم لما جاء الاسلام جمع بين الأوس والخزرج ، وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وألف بين المسلمين وغير المسلمين فكان العرب أمة واحدة متراصة البنيان ، فتحت الممالك ، وخضع لها ملوك الفرس والروم « فى مكة ويثرب » ثم فى دمشق وبغداد وقرطبة والقاهرة ، حتى صارت تلك العواصم العربية الأخيرة كعبة يحج اليها رواد العلم من كل أمة ، فى تلك

العصور المظلمة ، كما صارت منهلا للحضارة الأوروبية الحديثة .

* * *

ولقد كانت نهضة العرب قائمة على أسس متينة من الخلق الكريم والمعرفة الصافية ، فتحولت محاسن الدنيا اليهم ، ووقعت فضائل الأجيال عليهم ، وتولاهم الله بتوفيقه وتأييده ، فلما ضعف الحافز الديني فيهم ودخلت العناصر الأجنبية في كينونتهم، وتخلخلت أسس التربية والأخلاق ، وغربت رويداً رويداً شمس المعرفة من آفاقهم أعترتهم نكسة الانحلال الاجتماعي ، والتخاذل الانساني ، فاحتل التتار بغداد وقضوا على دولة العباسيين في المشرق ، ثم مشى الوهن شيئا فشيئا إلى ملكهم بالأندلس أبان ملوك الطوائف حيث كانوا منقسمين الى اكثر من عشر ممالك في كل مملكة أمير يدعى أن له حق السيادة على الآخرين حتى حل بملكهم الدمار ، وزالت دولتهم بالمغرب .

* * *

ولما آل الأمر الى العثمانيين الذين أسسوا دولتهم بآسيا ومدوا سلطانها إلى أوربا واستقروا بها ، ثم أرهبوا ملوكها ردحا من الزمن خضع لهم المسلمون في جميع أنحاء العالم كما أسلس القياد لهم العرب وتفانوا في ارضائهم وحبهم بوصف كونهم خلفاء المسلمين والقائمين بالامر فيهم فلما ارتطم أولئك العثمانيون بصخرة الانحلال ، وتفرق الكلمة، وغفلوا عن مصالح الشعوب العربية وغير العربية ، أخذت الأقاليم تنحدر ، والجهل يسودها، والظلم يفشو فيها والاستغلال الشخصي والرشوة يعملان عملهما حتى ضجت الرعية ، وثارت الأقاليم ، وفي

مقدمتها البلاد العربية ، وذلك فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، حيث قامت حركتان .

الحركة الأولى عربية لحما ودما وقد قامت فى وسط البلاد العربية، وفى قلب الجزيرة، وقادها قواد من صميم العرب ، ونعنى بها حركة آل سعود الاول فى نجد، فقد ثاروا على الترك بقيادة مؤسس دولتهم «محمد ابن سعود» و «سعود الكبير» ، فاستولوا على الحجاز ونجد، كما استولوا على جانب من جنوب العراق . ووصلت خيولهم الى «حوران فى سوريا» ، فأمر سلطان العثمانيين «محمود الثانى» محمدا عليا باشا والى مصر بمحاربتهم . فأطاع أمر السلطان بأرسال جيش على رأسه ابنه «طوسون باشا» ، ثم ابنه ابراهيم باشا . لأن هذا واجب التابع للمتبوع — من أطاعة الأمر — ومع هذا فسجايا طوسون الكريمة جعلته يحقن الدماء ، ويعانق الأمير سعودا عندما سنحت الفرصة ، كما

وهذه شنشنة حسنة. وضيمة كريمة. وهما جديرتان بأبناء دين يأمر بالعفو، ويدعو الى التسامح. ويحث على الاعتصام بحبل الله. ويعتبر المسلمين جميعهم أخوة. ويقرر فى أكثر آيات قرآنه أن عظمتهم وهيبتهم لا يتحققان الا بها.

• • •

وأما الحركة الثانية . فقد قامت بمصر ، على أساس استقلالها عن تركيا ، كدولة عربية فى تسلسل تاريخها ولسانها وعنصرها ، وقد تولاها محمد على باشا بالاشتراك مع ابنه البطل ابراهيم باشا ، حيث جهزه على رأس جيش إلى الاناضول ، وذلك لاقتطاع مصر وسائر البلاد العربية

الأخرى فيها لاصلاحها ومنع الفوضى التى عمتها ، فلقى التاييد من السكان والأهالى ، حتى أنهم كانوا يرون فيه محرراً ومنقذاً ومصلحا ، فلقب نفسه « صارى عسكر الجيش العربى » أى القائد الأعلى للجيش العربى ـ وظل هذا القائد يواصل تقدمه حتى بلغ « كوتاهية » فى قلب الأناضول ، ولولا أن صـــدرت اليه الاوامر من والده بالوقوف لاحتل (الأستانة) ودك دولة آل عثمان المتداعية .

****

والدليل على أن الغرض من هـذه الحركة إنشاء دولة عربيـة فى وادى النيل تضم جميع الناطقين بالضاد تحت رايتها أن ابراهيم باشا سئل فى أثنـاء حصاره (عكا) سنة ١٨٣٢ م : إلى أى مـدى تصل فتوحاتك إذا تم لك فتح عكا ؟ فقال : « إلى مدى ما يتـكلم الناس وأتفاهم وإياهم باللسان العربى » وإذا كانت هـذه الحركة لم تصل إلى غايتها . الا أنها أيقظت نفوس العرب ونبهتهم وجعلت التركى الصميم يتمصر ويتعرب ، وفى المقدمة ابراهيم باشا نفسه الذى أثر عنه أنه قال يوما لبعض جلسائه :

« أنا لست تركيا . بل أنا مصرى عربى فلقد »

« جئت مصر صبيا ، ومنذ ذلك الحين مصرتنى »

« شمسها . وغيرت من دمى ، وجعلته دما عربيا »

****

ثم لما جاء عهد « الخديوى اسماعيـل » قامت فى نفسه فـكرة العروبة ، والعمل على وحدتها أيضا ، ولـكن بمعنى آخر ، معنى يقوم

على ربط الثقافة العربية بين ديارها، وذلك عن طريق التفاهم العلمى بين خيرة المثقفين من أبنائها، فأسس (الجمعية العلمية الشرقية) التى تكونت من أعضاء يختارون من جميع البلاد العربية، وكانت مهمتها البحث العلمى، والعمل على إنارة الأذهان بين أبناء العروبة، وكان الأدباء والشعراء سفراء الصلة بين أقطارها، مثل الشاعر المصرى «ابراهيم مرزوق»، والشاعر اللبنانى «ابراهيم اليازجى»، والكاتب السورى «أديب اسحق»، كما كانت بعض الجمعيات الأدبية تعمل جادة فى سبيل النهضة الأدبية العربية مثل (جمعية زهرة الآداب) التى أسست فى بيروت سنة ١٨٧٣ م. كما كان للأزهر يد فى الصلات الأدبية بين بنى العروبة عامة حيث هو مثاب اللغة والدين معا. ثم كان للروح القومى والعنصرى الذى ظهر فى أوربا، والاحتكاك المتجدد بين الشرق والغرب أثر عظيم فى تنبيه الأفكار فى مصر وجيرانها من الأقطار العربية إلى إحياء قوميتها.

****

وقد كان من المنتظر أن أعلان الترك دستورهم سنة ١٩٠٨ م سيسوى بينهم وبين العرب. ولكن اتضح أن الأمر على الضد. فقد قام على أساس (الدولة الطورانية) التى تحي مجد «جنكيز خان» و«تيمورلنك»، ولم يعبأ واضعوه بالروابط التى تربط تركيا بالعروبة والأسلام، فوقف العرب فى العراق واليمن وسوريا ولبنان ومصر من تركيا وجها لوجه معلنين عروبتهم وقوميتهم.

****

وقد بدأت الجهود أولا بالدعوة إلى العروبة، ثم انتقلت الى الدعوة إلى وحدة البلاد العربية واستقلالها ونهوضها .. فكان أن أسست الجمعيات والنوادى فى «الآستانة» وسواها من البلادالعربية، مثل «جمية النهضة العربية» و «المنتدى الأدبى» و «الجمعيةالقحطانية» و «حزب العهد» و «العربية الفتاة»، ثم عقد بعض المتحمسين من أبناء العروبة مؤتمرا عربيا برآسة السيد عبد الحميد الزهراء سنة ١٩١٣ فى باريس بقصد الدعوةللعروبة... ثم تغلغلت هذه الدعوةفى نفوس الكثيرين من أهالى البلاد العربية على اختلاف ديارها. كأحمد زكى باشا، وأحمد تيمور باشا، والأمير شكيب بك أرسلان ومحمد على علوبة باشا وعزيز المصرى باشا وسواهم، طوال الحرب العظمى وبعدها، وأن كانت النواة قديمة، ولكن الدعوة صارت عمليـــة بدخول تركيا الحرب مع الألمان، وأعلان العرب فى الحجاز الثورة ضدها، لأن آثار الظلم لم تزل تحز فى نفوسهم على يد «الجمعيةالاتحادية» التى انبثت فروعها فى قلب الجزيرة.

****

ولقد كانت الفرصة مواتية للأنجليز فى خطب ود العرب، واستمالة شريف مكة «الملك حسين» فيما بعد بوصف كونه قائد الثورة ضد الترك، وذلك ليحصل التوازن الذى اختل فى الشرق بانضمام الترك إلى الألمان، فتردد هو ومن معه من أمراء العرب، ولكن أيغال الترك فى الانتقام، وفتكهم بالنخبة الممتازة من رجالات العرب

وارسالهم مئات الأسر العربية الكبرى إلى الأناضول لتقيم فيه إلى الأبد ، ثم تحديهم أياهم بنقلهم الأرمن إلى سوريا ولبنان جعل العرب فى آخر الأمر تفضل التعاون مع الأنجليز على أساس الاعتراف بالاستقلال والمساعدة فى إنشاء دولة عربية كبرى مستقلة ومطلقة من كل قيد وشرط ، كما جاء فى مكاتبات ـ « الملك حسين بن على مع السير مكماهون » ـ وكان هذا فى الحق أملا جميلا ، أمل تجديد الدولة العربية التى قضى عليها التتار . والتى تضم العراق والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، وتولى الحسين قيادة الحركة الجديدة التى تطوع فيها الحجازيون والعراقيون والسوريون واللبنانيون والفلسطينيون واليمنيون مقاتلين تحت علمها الحجازى . . . وكذلك تقدمت مصر بالمال والرجال منضمة للحلفاء ، وذلك لغاية الاستقلال التام ، وقيام دولة وادى النيل العربية ، وانتهت الحرب بانتصار الجانب الذى ناصره العرب جميعاً ، فذهب مندوبوهم إلى « مؤتمر فرسايل » بباريس ليطالبوا بتنفيذ الوعود التى ارتبط بها الحلفاء على لسان « مكماهون » وغيره ، ولكن مع الأسف لم تتحقق الآمال ولم تنفذ الوعود .

****

وكانت نتيجة هذه الخدمات الغدر الشنيع بالملك حسين والقضاء على أطماعه الواسعة بأعطائه الحجاز فحسب ، أما العراق فقد استولى عليه الأنجليز حتى ثار سنة ١٩٢٠ م وسنة ١٩٢١ فولى عليه فيصل الأول ، واما سوريا ولبنان فقد استولت عليهما فرنسا حتى ثارا عليها

ثم قامت فيها جمهوريتاها الاسميتان إلى أن طردت منها ، وأما فلسطين التى ألحق بها شرق الأردن ، فقد استولى عليها الانجليز وصارت موضع نضال ونزاع وثورات بين العرب وبين اليهود بسبب وعد « بلفور » ، ثم اقتطع شرق الأردن وجعل أمارة ثم مملكة وعلى رأسها الملك عبد الله بن الحسين ، وأما اليمن فقد سلمها الترك الأمام يحيى حميد الدين عند جلائهم عنها سنة ١٩١٨ م ، وأما نجد والأمارات العربية فى الخليج فقد ظلت على حالها عقب الحرب العظمى حتى تغير مجرى التاريخ وصارت هى والحجاز فى قبضة الملك عبد العزيز آل السعود ، وأما مصر التى رفع الأنجليز عليها الحماية فقد ثارت سنة ١٩١٩ م ثم نالت استقلالها سنة ١٩٢٢م ، على أن هذا الاستقلال الظاهرى فيها وفى غيرها من البلاد العربية لم يغن عن الحقيقة المرة شيئا ، حيث لم تزل اليد الاستعمارية ، تتدخل فى شئونها جميعا ، بينما الصهيونية العالمية تستقر رويداً رويداً بفلسطين لاغتصابها فى النهاية من يد أهلها العرب بمعاونة أولئك المستعمرين وأحلافهم كما سنعرض لذلك فى موضعه من هذا الكتاب .

* * *

والواقع أن أحساس العرب بعروبتهم لم يخمد طوال الأربعمائة سنة التى كانوا فيها جزءا من الأمبراطورية العثمانية ، فقد كان لهم أذ ذاك أدب عربى ضخم ، وثورة لغوية عربية ، وحركة تجديد مستمرة ، وأن كانت تسير ببطء . . وأذا كان تقسيم البلاد العربية هذا التقسيم الذى تلا الحرب العظمى ، وما أعقبه من الانقسامات

السياسيه والحزبية التى نجمت عن البرلمانات والدساتير التى يهيمن عليها الاجنبى أضعف شخصيتهم فأن قوى التاريخ الخفية ظلت تعمل فى نفوسهم عملا أيجابيا لصالحهم .

* * *

وذلك بدليل أنه لما تلبدت الغيوم فى الجو العالمى سنة ١٩٣٩ م منذرة بحرب عالمية جديدة ، لم تغمرهم تلك الغفلة التى هيمنت عليهم من قبل ، ولم تنطل عليهم ألاعيب السياسة ، فأخذوا عدتهم لتحقيق آمالهم ، وظلوا طوال اشتعال نار هذه الحرب متنبهين ، حتى لا يكونوا القربان الذى يقدم يوم يجلس المتحاربون على مائدة الصلح بعد وقف رحاها ، وتقدم بعضهم لبعض يواسيه إذا ألم به حادث ، ويؤازره كلما دعا للتآزر داع ، كما حدث عندما وقعت حوادث سوريا ولبنان بسبب اعتداء فرانسا عليها .

* * *

ثم كانت الأرهاصات التى تبشر بحادث عظيم ، وهو تكوين جبهة عربية تتحقق بها أمانى العرب ، حيث يؤدون رسالتهم الجديدة على أساس التكتل المتوثب المنسجم ، وفى ظلال ذكريات الماضى العذاب التى لا يزال لها أشراق ونور ، وبهذا يفندون نظرية ابن خلدون القائلة : بصعوبة انقياد العرب بعضهم لبعض ، وبعدم اجتماع أهوائهم على أمر لما فيهم من أنفة .... ذلك لأن تطور البيئة ، ودوافع الحضارة ، وعوامل المدنية ، كما قرر علماء الأجتماع لها تأثير غير تأثير البداوة التى أكسبتهم قديما الغلظة والمنافسة فى

الرياسة ، ولهذا فانقياد العرب بعضهم لبعض واجتماعهم وتآزرهم وبخاصة فى هذا العصر الذى قربت الاختراعات بين أجزائه البعيدة وربطتها ربطا عجيبا أمر طبيعى تدفعهم إليه دوافع الحياة والمدنية معا .

****

وقد تجلى هذا « فى المؤتمر العربى العام » الذى عقد بالاسكندرية « بقصر انطونيادس » فى اكتوبر سنة ١٩٤٤ م برياسة رئيس وزراء مصر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا حيث أعلن بروتوكول الجامعة العربية وقد مثلت فيه البلاد العربية ومنها فلسطين ، غير ان الوزارة أقيلت وخلفتها وزارة جديدة برياسة صاحب الدولة احمد ماهر باشا فأعلن موضوع « هذه الجامعة » فى خطاب العرش ، ثم استشهد فخلفه صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا ، وفى عهده وقع هو ومندوبو الدول العربية باسم حكوماتهم ميثاقها — وكان ذلك فى ٨ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ١٢ مارس سنة ١٩٤٥ م والبلاد المؤلفة للجامعة هى : مصر والعراق والمملكة السعودية وسوريا ولبنان وشرق الاردن واليمن ، أما فلسطين فلم يكن لها مقعد وأن كان لقضيتها مكان مرموق لدى هذه الجامعة .

****

وهذا الميثاق يتضمن تنسيق الخطط السياسية لتحقيق التعاون بين البلاد العربية . وصون استقلالها وسيادتها وتقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ، وربط العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين جميع البلاد

العربية ، واعتبار فلسطين أمة لها وجودها ، وأنها ذات استقلال دولى من الناحية الشرعية .

* * *

أما تشكيلاتها فتتركز فى أماناتها التى تشرف على إداراتها الثمانية ، من سياسية . وقضائية . ومالية . وجنسية . وثقافية . واجتماعية . وصحية الخ . . . وقد اعترفت بها الدول وفى مقدمتها انجلترا وامريكا ، وللجامعة مجلس يسمى مجلس الجامعة يلتقى فى دورتين كل عام ، احدهما فى اكتوبر والثانية فى مارس ، ورئاسة هذا المجلس بالتناوب .

* * * *

وبوجود الجامعة تجلت الشخصية السامية للعروبة واتضح لأعضائها أثرها الفعال فى الخير العام ، كما اتضح لهم أن الانقسامات القديمة التى نجمت عن تدخل الأجنبى كانت سبب الضعف الذى أصابهم ، ولقد كان من مظاهر هذه اليقظة العربية الجديدة ، ما حدث من صلات مادية وأدبية ، وما تقرر من علاقات سياسية واقتصادية ثم ما أعقب هذا من تزاور بين رجالات البلاد العربية وملوكها ورؤسائها ، وهى سياسة حكيمة تمليها المصالح الخاصة والعامة ، فقديما كان التزاور بين الملوك والرؤساء عملا إيجابيا لمصلحة شعوبهم ، به يتغير وجه السياسة ويتجه إلى أنبل الغايات ، كما حدث قديما فى تزاور كل من « ادوارد السابع » ملك انجلترا — و « بوانكاريه » رئيس جمهورية فرنسا ، حيث قام ميزان جديد بين الدولتين عاد على كل منهما بالخير والمصلحة .

وفعلا أعقب تزاور كبراء العروبة عقد « مؤتمر ملوك العرب
ورؤسائهم بمصر تلبية للدعوة التى وجهتها اليهم ..   ..
ويعتبر هذا المؤتمر ثانى مؤتمر فى تاريخها .... أما المؤتمر الأول
فكان فى عهد الدولة الأيوبية ، وكان إجابة لدعوة ملك مصر السلطان
الكامل محمد الأيوبى بن الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبى ،
وذلك عندما هجمت جموع الفرنج على مصر ، واحتلوا دمياط .. فى
أوائل القرن السابع الهجرى حيث دعا ملوك العرب وأمراءهم ،
فحضر إليه الملك المعظم عيسى ملك دمشق . والملك الأشرف موسى
ملك خلاط والارمن ، والملك الظاهر ملك حلب . والملك عماد الدين
صاحب بانياس . والملك الصالح اسماعيل صاحب بصرى . وتقى الدين
محمود صاحب حماة . والملك الأمجد صاحب بعلبك . والناصر فلج
أرسلان . وملوك الجزيرة ومعهم جنودهم ، وشاء الله أن تفشل
جموع الفرنج ويرتدوا خائبين بفضل اتحاد هؤلاء الملوك وتعاونهم
ضد عدوهم .

****

وليت هذه الروح استمرت متغلغلة فى نفوسهم على مدى التاريخ .. اذلو انها
ظلت مستمرة ماحدثت تلك الازمات التى حلت بهم . والتى طالما انتهز
خصومهم حدوثها فتسللوا الى معاقلهم و يدهم المعاول التى ينقضون خفية

حينا وجهرا حينا آخر عليها حتى هدموها ومحوا آثارها . واستباحوا حماها . وصار أمر تلك البلاد بيدهم لا بيد أهلها الذين أصبحوا عبيدا بعد أن كانوا سادة ، وغدا لسان حالهم يقول :

« بينا نسوس الناس والأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقة وعبيد »

أجل هكذا كانوا . . وهكذا صاروا .

وهل من العبرة الوقوف على السياسة التى يتبعها أولئك الأعداء ، فهم بعد أن يستتب لهم الأمر ، ينتزعون كل سلطة من يد ذويها . ويدعون العمل على خدمة المصلحة العامة ، والنهوض بمرافقها . واصلاح أحوالها . ورفع مستواها . . وما هم فى الواقع الا معوقين لكل تقدم . وحائلين بين كل أصلاح وباذرين بذور الفتنة والفساد والانحلال ، أما عملهم فى ايجاد الخلاف والانشقاق بين أبناء الوطن الواحد . والشعب الواحد . فحدث عنه ولا حرج وأما شراؤهم الضمائر بما يغدقون من مناصب ويوزعون من أقطاع . فكان الداهية الدهياء التى أصابت الأمم العربية على أيديهم حتى وقفت طويلا عن اللحاق بركب الحضارة . وفى فترات التاريخ القريبة زادت حال العرب سوءا خلال الحرب العظمى وبعدها حيث عمل الأعداء على تجزئة البلاد العربية وأضعافها وأنهاك قواها ، وخلق الفتن والثورات بها . ثم ضع النواة السرية لخلق دولة اسرائيل الملعونة فى فلسطين الحزينة ، بينما العرب مشغولون بما هم فيه عن خطر الصهيونية الخفى والذى يتجسم وينمو ، ويجد السند والمدد . . وجاءت الحرب العالمية الثانية وظن العرب أنهم سينالون حقوقهم كاملة جزاء وفاقا لما قاموا به من مساعدات للحلفاء المنتصرين ،

ولكنهم جوزوا بما جوزى به « سنمار » صاحب المثل المشهور .
فاجتمعوا فى مؤتمرهم التاريخى كما قلت .

« وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية »
« وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية »
« المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها »
« وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ماتستطيع فى »
« سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك »
« التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية »
« الثقة بها »

« ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن »
« قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم بل هى قضية »
« العرب جميعاً وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها »
« صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى امكان هذه الدول أن توافق بوجه »
« من الوجوه على أية هجرة جديدة ويعتبرون ذلك نقضا صريحا »
« للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف « البريطانى » ، ولهم »
« عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول »
« والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من »
« جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة »
« بحقوق عرب فلسطين حرصا منهم على دوام هـــذه الصداقة ، »
« وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى اضطرابات قد »
« يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام . . . أما فيما رأوا زيادة على »

« ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى »
« مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هـذا »
« الشأن ليتخذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز »
« على قلوب العرب أجمعين »

« ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ووجدوا أنفسهم »
« متفقين تمـام الاتفاق على أن استقلال هـذه البلاد أمر طبيعى »
« وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد »
« العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية »
« شـئون العرب ومصالحهم أن تهيء الأسباب لهـذا الاستقلال »
« وأن تتعهده فى بادىء الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية »
« فى تلك البـلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض »
« بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية »

« ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية فبعد »
« المداولة وجـدوا أنفسـهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر »
« القومية واستكمال سيادتها وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لابد »
« منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم ، وهم يؤيدون مطالبها الحقة »
« ويسندونها بكل ما فى استطاعتهم وقد سرهم ما سارعت اليه الحـكومة »
« البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر « اتـلى » رئيس وزارتها »
« فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن فيه عزم حكومته على »
« سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية ممـا »
« كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم »

« وهم يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهداً جديدا »
« فى علاقاتهامع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام »
« على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين ، وهم »
« يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار »
« والسلام فى هذه الناحية من العالم »

« ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى وقد عرض عليهم كثير »
« من شكواها فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها ، »
« وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها »
« ومشاركتهم فى جامعة الدول العربية »

« وأخيرا يغتنمون فرصة اجتماعهم هذا ليبعثوا كأخوة متضامنين »
« متحدين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم »
« ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد »

وفى النهاية قرر المجتمعون التوجه بعظيم الحمد ووافر الشكر الى مصر الشقيقة الوفية على أن هيأت لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون من ورائه خيرا لبلادهم ، واعزازا لجامعتهم

وكان يتولى سكرتيرية هذا المؤتمر التاريخى العظيم صاحب السعادة عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية ، وبعد أن انتهى المؤتمر من عمله عاد المؤتمرون إلى بلادهم مشيعين بالحفاوة والتبجيل .

ثم أبرقوا لمصر برقيات الشكر على ما لاقوه من الترحيب والتكريم ، فردت عليهم متمنية لهم الخير . ولبلادهم المجد فى ظل وارف من العز والسعادة .

* * *

ولما كانت العروبة رابطة بين بنيها فقد يلجأ المضطهد منهم إلى أى حمى من حماها سهل عليه الوصول اليه وكان على صاحب هذا الحمى أن يجيره ويؤمنه ، مادامت الفكرة التى اضطهد من أجلها فكرة وطنية، ولذا فقد احتمى كثير من أحرار العرب المضطهدين فى سبيل أوطانهم بملوك العروبة ورؤسائها فأمنوا ، كالقائد الباسل « فوزى القاوقجى » حيث احتمى بسدة الملك فى العراق ، وكالبطل الشجاع « السيد رشيد عالى الكيلانى » حيث احتمى بسدة الملك فى الحجاز . وكالحر المشرد فى سبيل بلاده فلسطين « السيد محمد أمين الحسينى » وكبطل الريف المشهور الأمير « عبد الكريم الخطابى » وأخيرا القائد الأردنى الكولونيل عبد الله بك التل حيث احتموا بمصر المضيافة الكريمة فآوتهم ورحبت بهم ترحيبا منقطع النظير

* * * *

وأن الاتجاه السياسى مقرر فى عصبة الأمم سنة ١٩٢١ م فقد ألفت له لجنة باسم « لجنة باريس » وقررت ألا يرغم الملتجىء على العودة . ولا يطرد ، بل للحكومة التى يلجأ اليها أن تحميه إن شاءت ، وكذلك قررت هيئة الأمم هذا الحق - ثم أن المادة -١٥١- من الدستور المصرى الخاصة باللاجئين السياسيين تقرر ما يأتى :-

« تسليم اللاجئين السياسيين محظور وهذا »
« مع عدم الاخلال بالاتفاقات الدولية التي »
« يقصد بها المحافظة على النظام الاجتماعي »

****

وإذا كان « للجامعة العربية » يد فى كثير من الشئون العامة والخاصة التى عادت بالخير على بنى العروبة أفرادا وجماعات فأنها مع هذا تحتاج لاعادة النظر فى كثير من الشئون ، كأن يصدر نص متفق عليه بعدم جواز إبرام أية دولة من دولها معاهدة عسكرية مع دولة أجنبية إلا برأى مجلسها وأقراره . حتى لاتجعل للتدخل الأجنبى سبيلا إلى وحدتها ، كاأن عليها أن تحتفظ بشخصيتها الدولية فلاتجعل لمستشار أى دولة أجنبية ، أو سفيرها مثلا أى رأى أو أى تدخل ، كما بدر من مستشار بريطانيا يوم اجتمع وزراء خارجية دولها ، وعليها أيضا أن تتوسع فى ميثاقها حتى يتسع لسوى أعضائها الحاليين ، وكفى ماحدث من النزول بالمستوى الأول يوم عقد المؤتمر العربى العام الذى مثلت فيه فلسطين وسمى بروتوكولا إلى المستوى التالى الذى لم يشملها والذى سمى « ميثاقا » ، وأن تتعظ بما مضى يوم أن كان أنقاذ أراضى فلسطين يأخذ فراغا كبيرا من الأقوال والمواعيد وفراغا ضعيفا من العمل والتنفيذ ، وكذا مسألة الجوازات وسواها ، كاعليها ألا تعطى المركزية فى الأمانة لفرد إذا ماغاب أو مرض أو شغله شاغل وقف دولاب العمل . . على أننا مع هذا نسندها بكل قوانا فهى كتلة عربية نعتز بها ونلجأ اليها فى الأزمات ، ثم إنها وأن كانت وردت أول ماوردت

على لسان « ايدن » وزير خارجية انجلترة بقصد أيجاد تكتل عربى فى جانب الحلفاء إلا أنها انتجت حركة مركبة تكافح فى سبيل الوحدة كما تكافح فى سبيل الاستقلال .

* * *

أن وجود الجامعة ضرورى لحفظ كيان البلاد العربية ووحدتها ونهوضها ، وهو حقيقة ملموسة ومشاهدة ، فقد عاشت بلادنا العربية حقبا طويلة ، وهى فى عزلة عن أخواتها ، كما عاش بعضها فى معزل عن الحياة الدولية العامة ، فكان الانهيار والتأخر ، وكانت المحن والخطوب . . . ، فلما توحدت صفوفها ، وتدعمت وحدتها ، صارت لها شخصية محترمة ، وكلمة مسموعة . وأصبحت كتلة دولية يحسب حسابها وتنطبق عليها المادة «٥٢» من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، ومن المقرر أن كل تكتل واتحاد ، تتبعه المنعة والسلطان ، فقديما اتحدت أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية بعد الحرب الأهلية سنة ١٨٦٢ م وكونت الجمهورية الأمريكية العظيمة ، واتحدت الأمارات الأيطالية سنة ١٨٦٩ م وكونت الدولة الايطالية التى أحيت مجد روما زمنا طويلا . واتحدت أمارات الجرمان سنة ١٨٧٠ م وكونت الدولة الألمانية التى تحدت العالم بحربين عالميتين فى أقل من ربع قرن .

* * *

ولقد قامت هذه الجامعة على أساس ألا تقتصر جهودها على الأمم التى بدأت بالمساهمة فى تكوينها لأن مدى أعمالها يمتد من المحيط الأطلنطى إلى الخليج الفارسى كما يمتد إلى العرب الذين فى الدنيا

الجديدة حيث بالأرجنتين وحدها نحو ٤٠٠ ألف عربى فيهم نواب وشيوخ . وليس هناك مايمنع من الصلات الخاصة بينها وبين الدول التى تربطها بها روابط تاريخية وثقافية كأيران ، وأفغانستان ، وتركيا ، ومما يبرر هذا أن اتحادها غير عنصرى ، لأنه يرمى إلى التعاون الانسانى . ويمقت المعميات فى قاموس السياسة . ويعمل على إزالة كابوس الاستعمار الذى أصبح يضر المستعمرين أنفسهم . ويصارح العالم بالأقلاع عن نزعة الطمع التى قد تؤدى إلى حرب عالمية ثالثة لاتحتملها الانسانية مهما كانت الحجج والبراهين . . . ، وهى تعتز بمكانتها لنبالة مقصدها ، وقد فاز أعضاؤها الذين رشحتهم فى هيئة الأمم العالمية بالانتخاب ، وكلما اقوى تماسكها جنى أعضاؤها الثمرات الطيبة ، فالاعتماد على العدل الدولى عبث ، إذ لم يزل ميثاق الأطلنطى والنداء بالحريات الأربع وقيام نظام للعالم خير من عصبة الأمم من القضايا التى يعوزها التطبيق ، بدليل ماصنعته فرانسا فى سوريا فى الوقت الذى كان يجتمع فيه « مؤتمر سان فرنسيسكو » لضمان السلم العالمى ، وبدليل موقف مجلس الأمن من قضيتى « فلسطين ومصر » وغير ذلك . . . لقد دلتنا عبر التاريخ على أن عمل كل أمة من أمم العروبة مفترقا نتيجة اختلاف النظر فيها كان سببا فى تكرار تلك الحماقات التى قضت على استقلالها وتقدمها . وإذا كانت الفرص التى تمتحن فيها البلاد العربية قد واتتها فيجب ألا تضيعها . وأن تكون حركتها فى الالتفاف حول الجامعة حركة ذاتية ، وأن تحترس من الساسة المحترفين ، وأن تفكر فى شئون بلادها على ضوء مصالح شعوبها عاملة على تنقيتها من كل عوامل التأخر

والتخلف عن الأمم ، بحيث تدفع بلادها إلى الأمام دفعا ، وتسير بها خطوتين إذا ماسار العالم المتمدين خطوة « أحداها ، لتدرك بها مافات - والثانية - لتساير التطور الجديد ، حتى تأخذ المجد أخذا لأن طبيعة المجد أن يؤخذ ولا يعطى . . . ثم عليها بعد هـذا ، ومع هـذا . وقبل هذا أن تتسلح داخلا وخارجا . ماديا وروحيا موحدة النظم والتدابير والمعدات فيكون لها جيش يحرس الحمى فى السلم والحرب ، ويكون ذا مكان استراتيجى فى الشرق الأدنى . وهذ التسلح هو ألزم لنا من ظلنا ، وقد كان طبيعة فينا معشر العرب منذ القدم . حتى أنه ماوجدت لغة من لغات الأرض وضعت للسيف أسماءا مقدار ماوضعنا ، كما أنها لم تضع لمظاهر الشجاعة والفتوة فى الحيوان - كالأسد - والانسان - كمقدام - بعض ماوضعنا ، ويرحم الله السيد جمال الدين الأفغانى فقد قضى حياته فى إيقاظ الهمم الفاترة وأشعال نار الفتوة والتضحية ، والاهابة بها إلى استردادعزها وسؤددها بثلاث - بالاتحاد - والصلابة - والتسلح ، فاذا لم تفعل ظلت مع الغرب كحمل بين فكى ذئب جائع ، وكغزال تحت ناب أسدهصور ... لنكن شجعانا - فطالما كانت الشجاعة من ألزم صفاتنا . وكم كنا نفتح بلاد الأعداء بالرعب ، ونغزوهم بمكارم الأخلاق ، ونثبت فيهم دعائم ملكنا بالعدل والرحمة والانصاف ، والانشاء والتعمير ، والعلم والثقافة معتصمين بعروة الله الوثقى . عروة الوحدة والجماعة .

* * *

مأساة فلسطين الجريحة

لم تنته فصولها



هذا الحمى لن يستباح

****

قاست فلسطين العربية على يد كل من انجلترة وأمريكا والصهيونية الأمرين بعد الحرب العظمى إلى اليوم ، فلقد أقضت السياسة الأنجليزية مضجعها وأباحت للصهيونية أن تستبيح خدرها ، فتقتل ، وتغتصب ، وتحرق ، كى تهددها وتمحو عروبتها ، مستندة إلى حماية الانتداب

الانجليزى لها من جهة ، وإلى عطف أمريكا و بعثها رءوس الأموال على يد أغنيائها اليهود من جهة أخرى ، كل هـذا ليعيد اليهود وطنهم القومى الذى فقدوه منذ أكثر من ١٨٠٠ سنة ، وذلك تنفيذاً لوعدين كما يقولون !!!

****

أما الوعد الأول : فوعد الرب ليشوع بأن يعطيه هـذه الأرض المقدسة ، على أن هذا الوعد لم يتحقق على صفة أممية دولية ، بل كان كسحابة صيف ، فان يشوع سار إلى « أريحا » وفتحها مستعملا القسوة ضد أصحابها الكنعانيين هو وجنوده ، فسلط الله عليهم « ملك آشور فأبادهم وانتهى الوعد أو كاد . فأخذوا ينوحون حتى عاونهم « قورش » ملك الفرس فعادوا لا لإقرار ملك بل للشغب ، فحاصرهم الرومان وخربوا ديارهم ، وباعوهم كعبيد ، وتحقق بذلك قول السيد المسيح : -

« يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين ، »
« كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع »
« الدجاجة أفراخها تحت جناحيها فلم يريدوا . . »
« هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . . »

وفعلا لم يتجمعوا وظل بيتهم خرابا ، وعاشوا مشتتين فى الأرض وذلك منذ ١٣٥ ميلادية فى عهد الأمبراطور الرومانى « أدريانوس » ثم تتالت القرون وأصبحت (اليهودية) فى العالم عقيـدة دينيـة . لا جنسية وطنية ، فقـد تزاوج اليهود مع الشعوب التى اختلطوا بها ،

وتحول إلى اليهودية كثيرون من غير بنى إسرائيل ؛ ولما رفعت القيود التى كانت تفرضها الدول المسيحية على اليهود تجنسوا بجنسيات البلاد التى عاشوا فيها ، ولم تعد فلسطين فى نظر كل يهودى فى العالم سوى ذكرى روحية فحسب .

****

ومن العجيب أن هؤلاء اليهود لم يرعوا قداسة هذه الأرض المباركة ، ولا قداسة مسجدها كما يدعون ، بل الذين رعوا هذه القداسة هم المسيحيون والمسلمون ، بدليل أن المسيح عليه السلام ، لما دخل مسجد الصخرة سنة ٣٣ م . ورأى اليهود قد دنسوه واتخذوه مكانا للبيع والشراء ، والصيرفة والمراباه ' غضب وبكى وطهره من رجسهم .. ثم قال : هذا بيت الله . وصلى ووعظ ... وبدليل أن محمدا عليه السلام ، قال فى حديث صحيح : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ـ المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » وكيف لا . وقد أسرى الله به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فى ليلة السابع والعشرين من شهر رجب قبل الهجرة .. وقد أثبت التاريخ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما فتح القدس ودخل كنيسة القيامة وجاء وقت الصلاة ، قال له البطريرك : صل مكانك يا عمر . فقال : لو فعلت لجاء المسلمون بعدى واتخذوها مسجدا ' وقالوا : « هنا صلى عمر » ثم ابتعد عنها رمية حجر وفرش عباءته وصلى . فبنى المسلمون فى مكان مصلاه مسجدا وتركوا الكنيسة لأهلها ولقد أثر عنه أنه قال عند ذلك الفتح : « يا أهل ايلياء ، لكم ما لنا

«وعليكم ما علينا» . . . فأين هذا من قول رجل الاستعمار الانجليزى المسمى - ألنبى - الذى صاح يوم دخوله القدس إبان الحرب العظمى وهو يضرب بقدميه الأرض : «اليوم انتهت الحروب الصليبية» ؟ ! ... هذا ولما شكا المسيحيون لعمر مايفعله اليهود من أيذاء وأفساد تعهد لهم ألا يسكن يهوداً معهم ، وأن يأتوا جماعة جماعة لأداء واجباتهم الدينية فحسب ، وذلك منعا لأذاهم ، هذا مايتصل بالوعد الأول .

****

أما الوعد الثانى «فوعد بلفور» الذى يقول - :

« أن الوزارة البريطانية تنظر بعين الرضا إلى إنشاء وطن قومى »
« لليهود فى فلسطين ، وأنها ستبذل أقصى جهدها فى سبيل تحقيق هذا »
« الغرض . . . على أنه يجب أن يكون مفهوما فهما صحيحا أنه ان »
« يعمل شىء مع هذا يمس الحقوق المدنية أو الدينية للطوائف غير »
« اليهودية التى تقيم فى فلسطين . . . أو يمس الحقوق والمزايا السياسية »
« التى يتمتع بها اليهود فى أى مملكة أخرى . »

***

وهذا الوعد خطأ من كل جهة ، فانجلترا لاتملك حق أعطائه - لأن فلسطين التى اقتطعتها من سوريا بعد الحرب العظمى ليست ملكا لها . وفاقد الشىء لايعطيه . . . وإنما هى ملك للعرب - أهلها الأصليين - منذ أكثر من ألف سنة وهم لم يزالوا فيها ، فكيف يزاحم غير مالك صاحب الملك فى ملكه ويحتله كله أو جزءا منه ! ؟ ، ثم أن المكاتبات التى دارت بين «روتشلد» ممثل اليهود فى انجلترا وبين

الحكومة البريطانية حول هذا الوعد لم تكن سوى مجرد عطف على أماني اليهود.. بدليل أن الحرب العظمى لما انتهت وطلب اليهود ١٩١٩م عرض قضيتهم على « مؤتمر الصلح » رفض طلبهم لمخالفة وعد بلفور هذا للقانون الدولي . . . ويضاف إلى هذا أن وعدا آخر سبقه أعطى « الملك حسين بن علي » باستقلال البلاد العربية ومنها فلسطين جزاء محاربتها في صف انجلترا وحلفائها ضد تركيا وألمانيا . . . وكذا معاهدة « سكس بيكو » بين انجلترا وروسيا سنة ١٩١٦ م - فأن هذه المعاهدة تنافي هذا الوعد أيضا . وذلك فضلا عن أن القانون الدولي ينص على ألا تقوم أية دولة من الدول . على قاعدة المذهبية . بل على قاعدة الجنسية . والصهيونية مذهب من المذاهب الدينية وليست جنسا من الأجناس البشرية - كما أنها تنافي شروط « ولسن » الأربعة عشر التي تقرر أن كل بلد يجب أن يكون لأهله ، وأهل فلسطين هم العرب الذين يكونون نحو ٦٧٠ ألفا ليس فيهم من اليهود إلا النزر اليسير ، وقد ظلوا فيها هم والقلة من اليهود عشرات الحقب بتقاليدهم العربية وقوانينهم العربية ، وحكوماتهم العربية .

****

وكان يجب أن تقف مسألة فلسطين عند هذا الحد لو وجد العدل والانصاف طريقهما إلى القلوب والنفوس ولكن الطمع والجشع والانانية وظلم الانسان لأخيه الانسان ألف القدر من مجموعها مأساة مروعة كل ضحاياها فلسطين العربية . . . فقد مهد الانجليز السبيل بعد انتدابهم عليها للوكالة الصهيونية بالتحكم ، وبجماعات الصهيونية من كل

فج بالاستقرار والتملك ، كما باركت عصبة الأمم سنة ١٩٢٢ الانتداب البريطانى بوثيقة فى مقدمتها وعد بلفور مع أن هذه العصبة نفسها هى التى رفضت طلب اليهود سنة ١٩١٩ ، فكيف أحلت اليوم ما حرمته بالأمس . . . ؟!

* * *

ومن المضحك المبكى أن يرخى الانجليز لهؤلاء اليهود حبل البغى حتى تجاوزوا الحدود ، واستولوا على « البراق الشريف » الذى هو خاص بالمسلمين ، وهو قبة فى طرف المسجد الأقصى ، فلما هاج العالم الاسلامى وتألفت « لجنة البراق الدولية » التى مثلت فيها مصر والعراق وغيرهما من البلاد العربية والاسلامية ، حكمت اللجنة بأن البراق للمسلمين سنة ١٩٢٣ ، ومع ذلك فأن الانجليز تحيزوا لليهود وأباحوا لهم أن يطلقوا عليه إسم حائط المبكى ، وأن يتجرؤوا على انتهاك حرمته وحرمة المسجد ، بل ويغتصبوه ، مع أن المسلمين حبسوا أوقافهم عليه . . . !

****

ثم تتالت الأحداث والاضطرابات والثورات التى من أهمها ما حدث فى سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٣٣ وسنة ١٩٣٦ ، وكذلك عقدت المؤتمرات التى من أهمها « المؤتمر البرلمانى العربى » الذى عقد بمصر سنة ١٩٣٨ برآسة محمد على علوبة باشا ، والمؤتمر النسائى الشرقى المنعقد بمصر أيضاً فى السنة المذكورة برآسة السيدة هدى هانم شعراوى ، وذلك لأسماع العالم حق فلسطين العربية ، والدفاع عن هذا الحق ،

فلجأت انجلترة إلى طرقها الخداعة التى اتبعتها من قبل ، والتى تتبعها دائما لذر الرماد فى العيون ـ طرق تأليف اللجان ـ وعقد المؤتمرات ... أما اللجان فمنها « لجنة بيل » و « لجنة شيل » و « لجنة وودهد » وسواها من اللجان التى كثر عددها وكثرت مسمياتها ، حتى وصلت لغاية سنة ١٩٤٦ نحو ١٨ لجنة . وهذه اللجان كما يقول الكاتب الانجليزى الأشهر « برناردوشو »

« إن هذه اللجان ما هى إلا سخرية بالشعوب »
« الضعيفة . ولا يمكن للأمم المستعبدة الخلاص »
« من ربقة الاستعباد على يد لجان تؤلف مطلقا »

ولقد صدق فأن هذه اللجان كلها لم تأت بثمرة ، ولم تحل مشكلة فلسطين ... وأما المؤتمرات فأهمها « مؤتمر المائدة المستديرة » الذى عقدته بلندن فى (قصر سانت جيمس) فى فبراير سنة ١٩٣٩ لما رأت نذر الحرب العالمية الثانية تأتى من النازية والفاشستية . حيث حضره ممثلو البلاد العربية برآسة سمو الأمير عبدالمنعم ، وكان لرفعة على ماهر باشا رئيس الديوان الملكى العالى المصرى جولات موفقة انتهت بأصدار انجلترة « الكتاب الابيض » ولكن قابل اليهود هذا الكتاب بالرفض لأنه لا يحقق لهم أنشاء دولة يهودية . وكذلك العرب أيضا ، لأنه لا يحقق استقلال فلسطين العربية ، فضلا عن الأثر الذى يترتب عليه من تدفق المهاجرين اليهود وتشجيعهم على امتلاك أراضى العرب ، وظل التذمر مستمرا ، ولكن الحرب العالمية الثانية اشتعلت ، فوقف النشاط من الجانبين .

لقد كان عرب فلسطين فى هـذه الحقبة من الزمن ـ أى منذ الانتداب الانجليزى إلى أن اشتعلت هذه الحرب ـ يعانون الشدائد ، وكانت المقادير تفاجئهم بالأحـداث على غير انتظار حتى أذهلتهم ، فوقفوا حيارى ينظرون ! ! . . . ينظرون إلى الماضى المظلم ، ماضى ظـلم الحاكم المنتدب ، وظـلم الدخيل المزاحم ، فرأوا ، وياشر ما رأوا ! ! رأوا السياسة الغـاشمة التى اتبعت معهم هى حرمان من جميع الحقوق المشروعة ، من حرية ، وتعليم ، وحياة اجتماعية واقتصادية سليمة ، ثم نفى لبعض زعمائهم إلى « سيشل » و « رودس » ، وتشريد للآخرين فى ديار الغربة . ثم مع هذا كله منعهم من أوقافهم الأسلامية واستغلالها وتشجيع خصومهم على الاستيلاء على أراضيهم ،... وجملة القول أنهم حرم عليهم كل شىء ، وأحل لليهود كل شىء ، وفى مقدمته القوة وإعداد العدة ، حيث اتخـذ منهم قوة بوليسية تحولت إلى قوة حربيـة أدمجـت فيها رويداً رويدا قوى حربيـة أخرى يتراوح عـددها بين الستين والثمانين ألفا أطلق عليها فيما بعد اسم «الهاجاناه» ، واسم « اشترن » ، واسم « أرجون زفاى » ولقد صارت لها مصانع حربية سرية متنوعة . . . ثم ما كان من اندماج نحو الـ ٣٥ ألفا من أفرادها فى ميادين القتال إبان الحرب العالمية الأخيرة ، وفى مصانع الذخيرة ، مما كان له أثر فى خبرتهم الفنية والصناعية والحربيـة ، ويضاف إلى هذا ما اختلسوه سرا من عدة وذخيرة ، حتى صارت هذه القوى خطرا يهـدد الأمن ، وهذا فضلا عن المال الوفر الذى يرد ليهود فلسطين من يهود العالم

وفيهم يهود أميركا الذين يبلغون نحو الأربعة ملايين ونصف والذين يدفعون سنويا نحو خمسة ملايين ونصف من الدولارات لهؤلاء اليهود ...

****

ولما صارت رحى الحرب على أهبة الوقوف أعلن « ترومان » رئيس الولايات المتحدة أباحة هجرة اليهود إلى فلسطين . وطلب من انجلترة المساعدة فى ذلك ، فأعلن « بيفن » وزير خارجية انجلترة رغبة حكومته فى تسوية المشكلة . وأشار إلى استمرار الهجرة بصفة مؤقتة . كما أشار إلى تحويل الانتداب إلى وصاية وفقا لميثاق « هيئة الأمم » فأثار ذلك العرب ، وعادت اللجنة العربية العليا المكونة من زعماء فلسطين ، والتى كانت قد حلت - طوال مدة الحرب - إلى الانعقاد - وأعلنت أن الكلمة الأولى والأخيرة للعرب أصحاب البلاد - لا لأمريكا ولا لانجلترة ، وأن مشكلة اليهود لا يصح ربطها بفلسطين ، وأن الهجرة ممنوعة وغير مشروعة ، وكذلك ردت الجامعة العربية بأن العدل ألا يعالج ظلم قديم بظلم جديد . وبأن إيواء الصهيونيين لا يكون على حساب العرب ففى وسع انجلترة وأمريكا إيواؤهم ، ثم أخذت الأمور تتعقد وانتهى الأمر بعرض قضية فلسطين على هيئة الأمم فى منتصف يونيه ١٩٤٧ فألفت لجنة تحقيق دولية زارت فلسطين وغيرها من البلاد العربية وغير العربية . ثم قدمت تقريرها . فأذا به يشير إلى التقسيم وإلى إنشاء دولة يهودية وأخرى عربية وأعقب ذلك أن أصدرت الهيئة قرارها بالتقسيم فى نوفمبر سنة ١٩٤٧ م

وعلى أثر ذلك اجتمعت اللجنة السياسية للجامعة العربية . وقررت وجوب تنفيذ « قرارات بلودان » ومقاطعة كل دولة تساعد اليهود ، خاصة وهـذا التقسيم حابى اليهود محاباة ظاهرة فقـد أعطاهم الأجزاء المهمة والغنية من فلسطين ، وأيد هذا التقسيم أمريكا وروسيا وغيرهما من أعضاء هيئة الأمم ، ووقف مندوبو العرب فى هيئة الأمم يفندون رأى اللجنة ولـكن بدون جدوى فعادوا ، وعقد مجلس الجامعة العربية وقرر وجوب اتخاذ تدابير عسكرية على حدود فلسطين تحفظ حقوق العرب إذا ماتحركت القوات الصهيونية مهددة أهلها العرب ،... خاصة ، وقد أعلنت انجلترا الجلاء عنها محددة لذلك موعدا ، كما قرر مد عرب فلسطين بالمساعدات من كل حكومات الجامعة . وتعضيدهم للدفاع عن أنفسهم . واشتعل الحماس فى النفوس ، فأخذ الناس يجودون بأموالهم ، كما يتقدمون للدفاع عنها ملتحقين بالفرق العسكرية . كجيش التحرير العربى وجيش اليرموك وغيرهما من الفرق العربية الفلسطينية وغـير الفلسطينية التى أخذت عدتها للدفاع ونجـدة أهلها . وقد كان لقوات الـكوماندس بقيادة أحمد بك عبد العزيز ، ولجماعات الاخوان المسلمين جهاد موفق .

* * *

وعند ما أعلن الأنجليز أنهاء انتدابهم وحددوا له يوم ١٥ مايو من نفس السنة ١٩٤٧م لم ينتظر اليهود ، بل أخذوا يغزون البلاد ، وينتهزون الفرص لاحتلال كل جزء فيها ، سواء أدخل فى التقسيم أم لم يدخل غير متورعين عن بقر بطون الحوامل ، وذبح الأطفال . وهتـك

الأعراض وماكاد يأتى آخر يوم من أيام الانتداب . حتى كانت فلسطين التى دخلها الانجليز وهى آمنة مطمئنة تسيل دما وتشتعل نارا، فتحققت خيبة هذه الحضارة الغربية التى مثلها الانجليز فى هذه الأراضى المقدسة بعد ستة وعشرين عاما بأقرار المستر « اتلى » رئيس الوزارة البريطانية إذ يقول :ـ

« لقد خابت الأمانى . ونحن نودع فلسطين »

* * *

وعندئذ تحركت جيوش الحكومات العربية زاحفة لمنع الصهيونيين من احتلال كل مكان تخليه الحكومة المنتدبة . ومنع الفساد والعبث اللذين ترتكبهما من قتل ، ونهب . وتشريد ، ومن انتهاك لحرمة الأماكن المقدسة وفى مقدمتها المسجد الأقصى الذى كأن الشاعر قد عناه بقوله :

مررت بالمسجد المحزون أسأله

هل فى المصلى أو المحراب مروان ؟!

تغير المسجد المحزون واختلفت

على المنابر أشرار وعبدان

فلا الأذان أذان فى منارته

إذا تعالى ولا الآذان آذان

وذلك فضلا عن تسميمهم الآبار ، ونشرهم الميكروبات ، مما تأباه أبسط قواعد الحروب ، وأبسط مبادىء الانسانية ، ودارت رحى الحرب لتلك الغايات الانسانية السامية من جهة العرب ، ولتخليص

إخوان مجاورين تربطهم بهم أواصر الدم والعروبة ، وهم عزل من كل قوة إلا قوة الحق ، فأذا حصون اليهود تدك ، ثم أذابهم حينما أحسوا بأس العرب وقوتهم يشكون لمجلس الأمن ويبكون ، لاجئين إلى أسلوبهم التقليدى أسلوب الاستصراخ ومناشدة الدول ، فعرض الأمر على مجلس الأمن فأخذ وأعطى بحثا ودرساً ، وأطال النظر . ثم أعاد النظر لأن خروج اليهود عن الجادة واضح لكل ذى عينين ، ولكن الهوى ومناصرة الباطل من جانب أمريكا وانجلترة ومن مشى فى ركابهما تغلبا على الحق . فصدر الأمر بوقف القتال ، وأعطاء العرب مهلة ، ثم تعيين « الكونت فونت برنادوت » وسيط هيئة الأمم فى حل مسألة فلسطين بين العرب واليهود ، فحضر إلى البلاد العربية ، ومواقع الحرب ، واتصل بكلا الطرفين المتحاربين ثم قدم أخطارا بوقف أطلاق النار وعقد الهدنة لمدة أربعة أسابيع تبتدى من يوم ١١ يونيه ١٩٤٨ فقبل الطرفان الهدنة فى الوقت المحدد ونفذت فعلا من العرب ، أما اليهود فخرقوها ، ورفع الأمر من العرب للوسيط ولهيئة الأمم ولكن بدون جدوى ، ومع ذلك ظل العرب على عهدهم ، وأخذوا يدعمون الروابط بينهم ، وزار الملك عبد الله ملك شرق الأردن البلاد العربية فأحسن استقباله ملوكها ورؤساؤها ، وما كادت تنتهى أيام الهدنة حتى طلبت هيئة الأمم مدها ، فأبى العرب ، وذلك ... لعدم الجدوى . فاليهود يخرقونها كل يوم ، ويحضرون الأمدادات ، ويزيدون فى الاستعداد ، ومن ورائهم الوسيط وأعوانه ، وهيئة الأمم منطاعة لأمريكا فى أسنادها ظهر اليهود ، فتحركت الجيوش العربية من جديد فى ١١ يونيه سنة

١٩٤٨ ، فقرر مجلس الأمن فى ١٥ منه أن الحالة فى فلسطين تهدد السلام العام . وأن على المحاربين فى فلسطين من الطرفين أيقاف القتال فى ١٨ منه ، وفعلا أوقف العرب رحى الحرب على شرط تحديد زمن الهدنة وعودة المهاجرين العرب إلى بلادهم ، ووقف الهجرة الصهيونية ، ومع هذا ظل اليهود يخرقون الهدنة فيجتمع مجلس الأمن بدون جدوى فى ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، ثم يهزأ اليهود به، وبالمبادىء الانسانية ، وبفكرة الوساطة التى اخترعتها هيئة الأمم متحدين إياها - بقتل « وسيطها الكونت فونت برنادوت » فتعين هيئة الأمم بدلا عنه « مستر رالف بونش » ، ويستمر اليهود فى عدوانهم المضاعف بعد أن كمل استعدادهم الحربى منذ الهدنة الأولى التى استأمن العرب فيها عهودهم وعهود هيئة الأمم ، وكانت نتيجة الاستئمان أن باغت اليهود جميع الجيوش العربية فى كل مكان مباغتات مفجعة ،وبخاصة فى منطقة النقب التى كان الوسيط الأول جعلها من حق العرب بينما الوسيط الثانى جعلها من حق اليهود مخافة أن يلحق بسابقه ، فاجتمع مجلس الأمن وقرر وقف الحرب والانسحاب إلى المواقع الأصلية لكل ـ قبل يوم ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤٨ على أن ينفذ هذا قبل يوم ١٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨ ، فنفذ العرب . أما اليهود فهم اليهود ، لا يعرفون لأحد حقا ، ولا لغيرهم عهدا . ولقد كانت للجيوش المصرية خاصة وفى مقدمتها جيش الفالوجا مواقف تذكر فتشكر .

* * *

وإذا كان العرب يصممون على أن تكون فلسطين دولة موحدة .

فما ذلك إلا لأن هذا هو الوضع الطبيعى لها . ومن أجل ذلك اجتمع ذوو الرأى فى فلسطين . وأعلنوا استقلالها ، وقيام حكومة عربية بها مقرها « غزة » مؤقتا ، وقد وضع لها دستور - ينص على أن تؤلف حكومة ، لها مجلس وطنى - ومجلس أعلى - ومجلس وزراء ، على أن تسمى هذه الحكومة - حكومة عموم فلسطين - وقد اختير لها رئيسا صاحب السعادة « أحمد حلمى باشا » . . وقيام هذه الحكومة دليل على حسن نوايا الدول العربية . وبرهان على أن جيوشها ماتحركت لمغنم أو تملك . بل لتردها إلى أهلها ولترد إليها مشرديها - خاصة وحكومة عموم فلسطين هذه فلسطينية لحما ودما . فكل ممثليها فلسطينيون . وقد اعترفت بها الجامعة العربية والدول الأعضاء فيها عدا شرق الأردن .

* * *

ولقد ظهر السر فى امتناع شرق الأردن عن الاعتراف بهذه الحكومة . وهذا السر هو - أغراء الملك عبد الله وأعوانه اللاجئين البؤساء من عرب فلسطين الذين نزلوا بشرق الأردن بمبايعته ملكا على الأجزاء العربية بفلسطين . فقبلوا بدافع البؤس والحاجة . وعقدوا مؤتمرهم برآسة الشيخ محمد الجعبرى ، ووافق جلالته . وحكومته . ومجلس نوابه على ذلك . وهى لعبة من الانجليز كى تجعل من شرق الأردن « مسمار حجا » فى جسم البلاد العربية وفى وحدتها . ولتصل إلى غاياتها من مكان استراتيجى ظلت تعمل له منذ اقتطعت شرق

الأردن من جسم فلسطين ثم جعلته أمارة . ثم مملكة . ثم مضافا اليه قسم فلسطين العربية .

* * *

وما كان من البر بالعروبة أن يخرج شرق الأردن على الأجماع ، ولا أن يقف هو والعراق من قبل ـ ذلك الموقف السلبي ـ حينما دهم العدوان الصهيونى الغادر جيوشنا المصرية . حتى اتهم الخبراء الحربيون النزيهون القيادة العربية العامة بأنها تعمدت هذا الوقوف . لتتخذ من قضية فلسطين سلعة فى السوق السوداء غير مهتمة بما يترتب على ذلك من قيام عصابة فى صميم الدنيا العربية تسمى « اسرائيل » ، ولا عابئة بفشل جيوشنا ومن ورائها ثمانون مليونا من العرب وأربعمائة مليونا من المسلمين ، ولا بما آل اليه أمر فلسطين المقدسة التى شتت أهلها العرب بغير حق ، وجردوا من مالهم بغير رحمة ، وقضى فى مصيرهم بغير عدل ، وظلوا يساقون بيد علوج أسرائيل ، وطرائد صهيون ، حتى بلغوا ثلاثة أرباع المليون فأكثر ، من كرام العرب . يعيشون بين المضارب والملاجىء عيش الحرمان ، وقد ارتسمت على وجوههم أفظع مناظر البؤس وأروع مآسى الحياة . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

****

أن كارثة فلسطين تذكرنا بكارثة الأندلس يوم انقسم ملوكها العرب بعضهم على بعض ، ويوم أن أسال الأخ دم أخيه . وتحالف مع عدو بلاده ، حتى كانت النتيجة أن سلم آخر ملوكهم « أبو عبد الله »

مفاتيح « قصر الحمراء » إلى « فرديناند » صاغرا ذليلا — ثم دخل على أمه يبكى : « فقالت له — : أبك ملكا مضاعا لم تدافع عنه دفاع الرجال » فهام على وجهه إلى بلاد المغرب تشيعه سخرية الزمن ، ولعنة الأجيال . . . غير أن « غرناطة » كانت آخر معاقل العروبة فى « بلاد الأندلس » وآخر خط من خطوط دفاعها ، أما « فلسطين » فهى خط الدفاع الأول الذى من ورائه خطوط وخطوط ، والذى على كل خط منها اليوم أسود وأبطال ، فاغسلوا « أيها العرب » بماء الكرامة ، رجس اليهود ، واستعيدوا بغضبتكم المضرية ، ونخوتكم العربية . هذا الخط الذى سقط ، وامحوا ليل الصهيونية الأسود بانبلاج فجركم الوضىء الأبيض من جديد ، بالرأى السديد . والعمل المجيد ،

* * *

دولة اسرائيل المزعومة

تقوم على المذهبية والنفوذ الأجنبي المتضاد



دولة ولا دولة

* * *

حينما طوى الانجليز راية الانتداب على فلسطين ، وأقلعوا عنها .
أعلن الصهيونيون قيام دولة إسرائيل ، وشكلوا وزارتها ، ودعوا الدول للاعتراف بها . ولم تمض على هـــذا الأعلان ساعات حتى اعترفت بها أمريكا تملقا من رئيس جمهوريتها « ترومان » للصهيونيين

ذوى المال والنفوذ فى بلاده . وعلى أثر اعتراف أمريكا اعترفت روسيا ، لأملها أن يقوم نظام الدولة الوليدة طبق مبادئها الشيوعية إن لم يكن اليوم فغدا ، خاصة وقد بذرت بذورها فى نفوس كثير من المهاجرين أليها ، ونفذت فيها فعلا نظام المستعمرات الذى تتبعه فى بلادها ، ونظام الدعايات أيضا حتى صار فريق من الصهيونيين يعنونون نشراتهم طبق نشراتها ، وبمثل عناوينها « كمبادىء القومية » و « بدعة الديانات » . ثم تلا هاتين الدولتين ذيولها من الدول .

• • •

وإذا كان اليهود منذ ألفى سنة يحلمون بدولة لهم ، فهل يتحقق هذا الحلم بقيام « دولة إسرائيل » ؟!! - أم أن هذه الدولة هى دولة السراب الخادع ، لا دولة الحقيقة والكيان المنسجم ؟! وأنها ما تجمعت بفلسطين إلا ليصيبها الشر فى آخر الأيام كما تقول التوراة على لسان موسى :

« أنا عارف تمردكم . ورقابكم الصلبة . إنكم بعد »
« موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى »
« أوصيتكم . ويصيبكم الشر فى آخر الأيام !!! »

ولعل هذا هو ما دعا المؤرخ المصرى الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار لأن يقرر فى دروسه أن اليهود ستقوم لهم دولة . ولكن لا كقيام الدول على دعائم طبيعية ، ومبادىء دولية . لأن دولتهم ستكون « دولة المسيح الدجال » ، ولأنها سيصيبها الشر فى آخر الأيام بنص التوراة السابق ... ولعل المراد بآخر الأيام (قرب قيام

الساعة).. لما أثر من أن المهدى المنتظر سيظهر إذ ذاك بين الركن والمقام ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما على يد هذا الدجال وأتباعه من اليهود وسواهم ... وأن المهدى يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة - وأنه سيسير إلى «غار بأنطاكية» فيستخرج «تابوت السكينة» ثم يتجه إلى جبل بالشام فيستخرج «أسفار التوراة» منه ليحاج بها اليهود. ثم يسير إلى مسجدها المعظم .. والنصر بين يديه فيحاصره الدجال وأعوانه من اليهود... فأذا بالمؤذن يؤذن لصلاة العصر. فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، بالمنارة البيضاء، متمسكا على ملكين، ملك عن يمينه، وملك عن يساره. والناس مستعدون لصلاة العصر، وتقام الصلاة فيتنحى المهدى لعيسى. فيقول عيسى: تقدم، قد أقيمت الصلاة لك، ويصلى عيسى خلفه، وبعد الصلاة تكون الملحمة العظمى «مأدبة الله» بمرج عكا، وقيل «بباب اللد» فيقتل الدجال، ويفر اليهود، ويقبض الله المهدى بيده الإلهية. طاهرا مطهرا. أما عيسى فيظل فى الأرض أربعين يوما يتبع فيها اليهود حتى يبيدهم... والله أعلم.

****

هكذا أثر فى كتب متعددة، تاريخية وديفية، وليس فى استطاعتنا إلا أن نعدها من الأمور الغيبية التى نؤمن بما يثبت منها بالأدلة التى لا يتطرق أليها الشك، ومع هذا فنحن نؤمن كل الإيمان بأن دولة إسرائيل هذه تعيد اليوم تمثيل دور الشر من جديد على الأرض بعد أن مثلته قديما - بقتل الأنبياء كما يحكى الله ذلك عنهم بقوله.

« لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم »
« رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم »
« فريقا كذبوا وفريقا يقتلون . »

- وبمناسبة الملوك العداء كما يخبرنا الله بقوله :

« وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت »
« ملكا ، قالوا : أنى يكون له الملك علينا ونحن »
« أحق بالملك منه ، ولم يؤت سعة من المال ؟ . »

- ولقد أتعبوا موسى عليه السلام . فبعد أن نجاهم الله من الغرق وجاوزوا البحر طلبوا آلهة جديدة . كما يذكر القرآن الكريم فى قوله :

« وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتوا على قوم »
« يعكفون على أصنام لهم . قالوا . يا موسى اجعل »
« لنا إلـها كما لهم آلهة ، قال : أنكم قوم تجهلون ... »

- ولما حركهم لقتال الجبارين قالوا له كما حكى الله عنهم :

« إذهب أنت وربك فقاتلا . إنا ها هنا قاعدون »

- ولما عاد إليهم وجدهم يعبدون العجل غضب وأخذ بلحية هرون أخيه ورأسه كما حكى الله جل شأنه إذ يقول :

« ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا ، قال »
« بئسما خلفتمونى من بعدى ، أعجلتم أمر ربكم »
« وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه . »
« قال ابن أم إن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى »
« فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين »

ولم يكن هؤلاء اليهود قبل موسى خيرا منهم فى عهده ، فهم لما أحضرهم يوسف الصديق إلى مصر ، وأقطعهم « بلبيس » تدللوا وأترفوا وتعالوا على المصريين ، ولما تاهوا فى الأرض أربعين سنة فى آخر عهده فنى فيها من فنى ، ظن الناس أن الجيل الجديد يكون أحسن من الجيل الذى قبله ، فأذا الطينة من الطينة . والعجينة من العجينة . . .
ولما جاء الاسلام كانوا الأعداء الألداء لمحمد عليه الصلاة والسلام ، فكم نقضوا الميثاق ! ! وكم آذوه وأصحابه ! ! حتى هم رئيس بنى النضير « حيي بن أخطب » أن يلقى الصخرة على رأسه الشريف خيانة وغدرا ، لولا حفظ الله ووقايته . . ولقد كانوا الطابور الخامس « فى المدينة » أبان « غزوة الأحزاب » ، وأخيرا كانت وفاته صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة دست له فيها السم يهودية ، بدليل قوله ـ فى مرضه الذى مات فيه ـ : « ما زالت تعاودنى أكلة خيبر » . . .
وكانت نتيجة هذا كله أن أصابهم الله بالخسف والعذاب ، وأن تجعل الدول لهم معازل . كما تصنع وزارات الصحة بالمرضى بالطاعون والكوليرا وغيرهما من الأمراض المعدية الفتاكة وصدق الله إذ يقول فيهم ـ :

« وأذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم »
« القيامة من يسومهم سوء العذاب أن ربك »
« لسريع العقاب . وأنه لغفور رحيم . »

ذلك . لأنهم جرثومة شر ، مبدؤهم « الغاية تبرر الواسطة فى الدين ، والسياسة ، والأخلاق ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وهو مبدأ

خطر . وشرعة تنافى القانون الأخلاقى العام ، فالصهيونية أيا كانت . وفى أى مكان وجدت ، هى للهدم لا للبناء ، وللفساد لا للأصلاح ، وللشر لا للخير ، ثم هى أنذار بحرب ، وتذير خراب .

ولقد أدرك عقلاء الأمم شرود هذا العنصر من حظيرة الانسانية . ووقفوا على مركب النقص فى طبعه وخلقه وأعماله . ذلك النقص الذى يحفزه دائما إلى التمرد ، فلم يمنعوه من أن تكون له دولة فحسب بل أبوا عليه الاستقرار ببلادهم ، وها هى ذى انجلترة نفسها ، وهى التى سببت للعالم عامة ، وللعرب خاصة . هذا القلق والتعب من جراء اليهود أبت عليهم الاستقرار ببلادها فى القرن الثامن عشر حينما عرضوا على اللورد « جود ولفين » وزير المملكة « آن » أن يشتروا مدينة « برنتفورد » ليقيموا فيها ، ويعطوا الحقوق التى لتجار المملكة فأبى ... وروسيا أيضا أبت عليهم البقاء بل اضطهدتهم وشردتهم لما وقفت على نواياهم السيئة نحوها . وذلك فى القرن الميلادى الماضى . . . ولما تأكدت ألمانيا أن سبب هزيمتها فى الحرب العظمى سنة ١٩١٨ م اليهود سجنت منهم من سجنت ، وشردت من شردت ، وقتلت من قتلت ، غير نادمة على ما فعلت - ومع ذلك فقد كانوا فى النهاية سبب هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية ، ومنذ ١٦٠ عاما تنبأ الرئيس « فرانكلين » رئيس الولايات المتحدة بخطر اليهود على أمريكا ، كما حدث منهم من قبل فى البرتغال وأسبانيا ، وفى آخر أيامه أعاد تحذير قومه ، وطلب أن ينص فى الدستور على منعهم من دخول الولايات

المتحدة ، وقد قال الكاتب الانجليزى الأشهر « جورج مارتز » فى كتابه « لعنة عزرا » :

« إن اليهود ما سكنوا بلدا من البلاد ، ولا تجمعوا »
« فيـــه ، إلا وأثاروا حولهم شعورا عدائيا . »
« وأحدثوا روحا إرهابيا فى الداخل والخارج . »
« فضلا عن التوحش والأجرام والتعطش للدماء »

****

وقد استمروا على مدى التاريخ وهم يعاملون من الشعوب كما يعامل الأنجاس والمنبوذون . ولعل العرب كانوا هم الأمة الوحيدة التى عطفت عليهم وبخاصة فى القرون الوسطى ، فقد كان القوط فى أسبانيا يضطهدونهم ويتخذونهم عبيدا ، فحماهم موسى بن نصير وآواهم وخلصهم من ظلم « لزريق » ملك القوط .

****

ومن العجيب أن يدور الفلك هـذه الدورة العجيبة ، فأذا هـذه الدول المعادية لهم تناصرهم مناصرة غير مشروعة ، لأنها لم تبن على حق ولا قانون ، بل على حساب العرب ، وحساب العدالة ، وحساب الأنسانية المعذبة ... إن لليهود مشكلة لم يكن للعرب يد فيها ، وإنما لليهود أنفسهم اليد الأولى بما فى طباعهم ، ولدول الغرب ثانيا بما فعله بعضهم من تشتيتهم ، والوضع الصحيح لحل مشكلتهم كان ـ بأن تفتح الدول التى تعطف عليهم أبوابهـا لهم ـ لا إنشاء دولة صهيونيـة فى فلسطين ، كما قال الدكتور « هنرى فان دوين » رئيس اتحاد كليات

اللاهوت ورئيس مجلس إدارة جامعة برنستون بأمريكا ، أو إسكانهم « برارى الأريزونا » و « تكساس » بأمريكا ففيها متسع لهم ، وعدم الأضرار بالعرب . كما يقول العلامة « فيليب جتى » المدرس « بجامعة برنستون » أيضا .

إن حلم « إعادة الوطن القومى لليهود » هو فى الواقع حلم مزعج للانسانية كلها من حيث لا تشعر ، خاصة ولهذا الوطن حدود عجيبة رسمت فى قرارات المجلس الصهيونى الأعلى الذى عقد سنة ١٨٩٨ بباريس وهذا نصها :

« الوطن القومى لليهود يشتمل على مصر السفلى »
ويمتد شرقا إلى الجهات المتاخمة وينتهى بخط ممتد »
« بين عكا والبحر الميت بحيث يسيطر على الملاحة »
« فى البحرين - الأبيض والأحمر - وعلى التجارة »
« فى الشرق كله ويتصل بالبلاد الأوربية اتصال »
« سيطرة وسلطان بحيث تكون كلها أشبه بولايات »
« لنا كما تكون أمريكا فريسة ، فنحن شعب الله »
« المختار بل نحن البشر فى الصورة التى تركزت »
« فى مخيلة الله . . . »

ولقدردده (ابن غوريون) بعد ذلك فى خطبة له حيث يقول :

« ليست فلسطين هى الهدف النهائى ولا المحطة »
« الأخيرة . فنحن نريد إعادة ملك سليمان . أى »
« جميع الشرق الأدنى ثم ماوراء حدود هذا الشرق »

« نحن نريد الامتداد على قنال السويس ، ذلك »
« الامتداد الذى كان السبب فى الهزيمة أبان الحرب »
« العظمى ، كما نريد الامتداد إلى العلمين ، ذلك »
« الامتداد الذى كان السبب فى الهزيمة أبان الحرب »
« العالمية الثانية . لقد كانت لدينا رسالة للعالم، لكن »
« تغلبت علينا صروف الدهر فلم نكمل أداء هذه »
« الرسالة . وبمرور الوقت ستزداد الملايين منا »
« عظمة فوق عظمة . وحينئذ سنتم الرسالة . »

****

ومنطق الصهيونيين هذا هو عينه منطق النازيين ، فالصهيونيون يريدون إعادة ملك سليمان ، أى الشرق الأدنى وما يتصل به ، والنازيون كانوا يريدون إعادة ملك شارلمان ، أى أوربا كلها لحكمهم برآسة هتلر وقد تبخر هذا الحلم النازى وسيتبعه ذلك الحلم الصهيونى إن شاء الله ... على أن تلك المؤامرات الجهنمية التى دبرت بليل ، والتى يقصد منها الشر كل الشر لا بفلسطين وحدها ، ولا بالعرب وحدهم بل بالشرق جميعه ستتردى الانسانية بسببها فى حرب عالمية ثالثة . وعلى الباغى تدور الدوائر .

****

يا عجبا كل العجب ..!! تتآمر أمريكا وروسيا مع الصهيونيين على فلسطين العربية ، فتتفق هاتان الدولتان العظيمتان فى مسألة فلسطين وحدها ، مع أنهما يختلفان كل الاختلاف فى كل يوم بل فى كل ساعة

على كل جزئيـة من جزئيات الحيـاة ، فما الذى دعاهما إلى أن يمد كل منهما يده فى يد عدوه فى هـذه البقعة من بقاع العالم ؟ والجواب . هو المصالح المادية هى التى جمعت بينهما فى ميـدان واحـد ، وقد برع الصهيونيون فى تقسيم أنفسهم إلى معسكرين لأغراء كل من الدولتين بمعاونتهم . أما المعسكر الأول فهو (الهاجاناة) وقد جعلوا من أنفسهم أتباعا للولايات المتحدة ، وجمعوا من هناك الأموال ، وأسموا أنفسهم بالمعتدلين ، وظفروا بمعونة الرئيس (ترومان) بغير حساب ... وأن ماعرف من الوعود التى بذلوها للبيت الأبيض أذا قامت دولتهم يتلخص فيما يلى : ـ أولا : جعل حيفا قاعدة أمريكية بحرية لما لموقعها هى وما حولها من الأهمية الاستراتيجية . ثانيا : أن تكون فلسطين كلها فى حالة الحرب معسكرا للولايات المتحدة . وقد اطمأن ساسة الولايات المتحدة إلى هذه الوعود التى بذلها لهم (وايزمان) و (ابن غوريون) و (موسى شرتوك) وتأكيدا لها قامت حكومتهم الموهومة فى (تل أبيب) وسندها (فرق الهاجاناة) ـ أما المعسكر الثانى فهو (عصابتا الأرجون وشيترن) وقد جعلتا من أنفسهما أتباعا لروسيا ينفـذون مبادئها ، ويشيدون بمذهبها الشيوعى ، ويطبقونه فى مناطق نفوذهما بفلسطين ، وهما وإن كانتا أقلية إلا أنها أقلية منظمة متطرفة . أثبتت لروسيا جدارتها بثقتها فيها لما تقوم به من العمل والتحـدى السافر للانجليز فى الماضى والحاضر ، وبخاصة تحدى رئيسها (مناحم بايجين) كل فرد . وكل رأى . فلقد تحدى برنادوت فى جعل القدس عربيـة أو محايدة أو تحت إشراف الوسيط . كما تحدى سواه . ولذا

فروسيا تعلق أيلولة الحكم أليه فى ظروف قد لا تكون بعيدة ، وبذا يبيح أرض فلسطين للجيش الأحمر كما تفعل كل دولة تعتنق الشيوعية... ثم تريد كلتا الدولتين من وراء هذا كله الحصول على الثروات المعدنية والكيميائية الضخمة فى هذا الأقليم وما يحيط به ، وكذلك الحصول على البترول المتوفر فى الشرق وهو عصب الحياة فى الحرب ، خاصة وحالة البترول سواء أكانت فى روسيا أو فى أمريكا تنذر بالخطر لنضوب معينه فى كثير من آباره فيهما .

****

ومن جمهور هذه القضايا التى تقدمت يتقرر أن دولة إسرائيل المزعومة ليست بدولة حقيقية وإنما هى امتداد لنفوذين متضادين ، نفوذ شيوعى تتزعمه روسيا . ونفوذ رأسمالى تتزعمه أمريكا . وسينتهيان بالفشل ، وتنتهى مأساة تلك العصابة التى تطلق على نفسها «اسم دولة» كما انتهت مأساتها قديما ، فدعاة صهيون . أو مملكة إسرائيل كما يحدث التاريخ لم يعيشوا قط فى سلام مع أحد ، ولم يعيشوا قط فى سلام مع أنفسهم ... خرجوا من جزيرة العرب ، ثم خرجوا من العراق ، ثم خرجوا من أرض كنعان ، ثم خرجوا من أرض مصر ، ثم خرجوا من أرض فلسطين متفرقين . تنازعوا على خلافة كاهنهم الأول (صموئيل) فلم يقبلوا أحدا من أبنائه ، فلما أرغموه على مبايعة (شاؤول الأول) عادوا يتمردون على شاؤول هذا الذى اختاروه ووقع النزاع بين هذا الملك وبين داود عليه السلام وانتهى أمر داود إلى الجنون من تعاقب المشكلات عليه ، ثم مات منتحرا فى الميدان

بعد أن هزمه الفلسطينيون ، ولم يمت داود حتى انقسمت مملكته إلى شطرين ، ثم شتتوا . . فاذا كانت هاتان الدولتان (روسيا وأمريكا) ومن ورائهما هيئة الأمم وانجلترة بدسائسها تتعاون كلها على إيجاد دولة إسرائيل وحمايتها ـ ثم رجمنا معشر العرب بالحجارة معتبرة سلاح الحق الذى فى يدنا سلاحا مفلولا ، فليس لنا إلا الثبات فى موقفنا ، والعمل المتواصل ، للاحتفاظ بكياننا ، وعقد معاهدة دفاعية عسكرية بيننا وبين أمم الشرق وبلاد الاسلام حيث يبدو أن المسألة الشرقية بعثت من جديد . . وقد وعدنا الله ووعده الحق بألا نغلب ما دمنا معتصمين بحبله ، عاملين بتعاليمه ، ولكم من أمة كانت أعظم بطشا من تلك الأمم؟؟فأخذها الله أخذ عزيز مقتدر . . أين (سدوم) وأين (عمورة) لقد كانتا (كتل أبيب) منعة وقوة . فدمرهما الله كما تنص التوراة بنار من عنده . وحول مكانهما إلى بحر من الكبريت هو (البحر الميت) .

° ° ° °

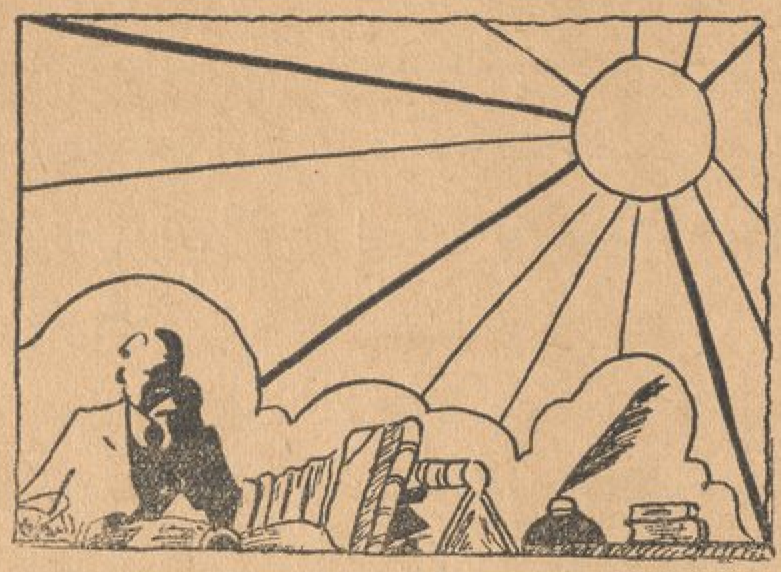
ومع هذا فيجب أن نكون معشر العرب قوماً واقعيين . آخذين بالأسباب . غير مغالطين فى الحقائق . فإسرائيل قد صارت دولة باعتراف الأغلبية فى هيئة الأمم . وقد صار لها كيان على الأرض القديمة العزيزة المقتطعة من قلب العالم العربى تحت سمع الأمم المتحدة وبصرها . بل وبمعونتها . وليس من الحكمة أن نغمض أعيننا عن الواقع منخدعين . كما يجب أن نعلم تمام العلم أن أعصاب أفرادها تزخر بشحنة فائقة من العصبية الدينية والدموية وأن ثورة المادية والروحية

تشتبك اشتباكا أصيلا تجعلهم يصرون على أنهم أحق أهل الأرض بميراث الأرض وملكها . . . كما يجب أن نعلم أنهم جادون فى هجرة اليهود من جميع أنحاء العالم إلى فلسطين ، وأنهم فى سبيل هذا يريدون أن ينفذوا ما انتهت أليه «بروتوكولاتهم» التى كشفها فى روسيا الأستاذ «نيولوس» سنة ١٩٠٥ م والتى قام على أساسها الانقلاب الروسى الشيوعى الذى كان لليهود نصيب كبير فيه ؛ تلك البروتوكولات التى تنص على مبادىء خطرة ، منها أن حكم العالم إنما ينتزع بالعنف ، وأن الحق يكمن فى القوة فليس للضعيف حق ، وأن الحرية السياسية طعم لجذب العامة ، وأن السلطة للمال وليست لشىء غيره ، وأن الحرية والمساواة والأخاء كلمات لا يؤمنون بها وإنما يلقونها ليجلبوا بها إلى صفوفهم فرقا كاملة عن طريق وكلائهم المنبثين فى كل شعب . . . . ثم يجب أن نعلم أنهم مع وضعهم الشاذ ، وكيانهم الدولى المتناقص قد أعدوا عدتهم من أمد طويل باحثين جيولوجية أراضى فلسطين ، واقفين على ماتكنه من ثروات . فى ـ النقب ـ بل وفى طورسينا خلسة ـ كما أنهم نفذوا «مشروع روتنبرج» لتوليد الكهرباء بفلسطين كلها ـ ، وكما أنهم يعملون على محو الجهل من أفرادهم محوا تاما وعلى التماسك الاجتماعى بين طبقاتهم ، وعلى أن يكونوا دائما على قدم الاستعداد ـ الاستعداد الاقتصادى ـ والسياسى والحربى ـ فلنكن نحن العرب نموذجا أسمى حتى نفسد عليهم خططهم ضدنا ، فهم بعد أن بلغوا ما منوا أنفسهم به من الهيمنة على فلسطين يعملون على الايقاع بيننا ثم على تحريك

أصبعهم فى أسواقنا ليفسدوا اقتصادها ، وفى سياستنا ليقلبوا أوضاعها ، وفى أخلاقنا ليعملوا على انحلالها ، . . . أنهم المشكلة التى عجز التاريخ عن حلها ، ولا أمان لنا أزاء هذا إلا بيقظة عملية دائمة ، يقظة إيجابية تقوم على التضامن والتكافل والاصلاح ، فقوة المجتمع من قوة أفراده علما ، وتشريعا ، وحكما واقتصادا ، واجتماعا ، وهذا ماسنفصله فيما يلى من هذه البحوث .

الروح العلمى

وكيف يقود النهضة فى البلاد العربية . . . ؟



شمس المعرفة

* * *

أن سلطان العلم اليوم يفوق سلطانه فى أى عصر مضى ، والأمم العربية أحوج ماتكون إلى مناهج التربية القويمة ، وأسلحة العلم الحديثة ، خاصة والقلق الاجتماعى الذى لاتكاد تخلو منه أمة من أمم العروبة يحتاج إلى علاج عاجل ، ولن يستطيع شىء يبعث فيه الاستقرار والثقة . والنهوض إلا تربية تكون الشخصية ، وعلم يسخر المادة ، وإذا كانت وظيفة التربية هى كما يقول أفلاطون - : « الأعداد الصالح للطلاب ، وتضافرهم على العمل الجدى لصالحهم وصالح بلادهم ،

... فأن محو الأمية أول مراتب هذا الأعداد ، إذ لا حياة كريمة لأمة من الأمم ، وبخاصة فى هذا العصر إلا بمحوها ، وقد طبق الأسلام هذه النظرية منذ عهده الأول ، فقد جعل من جملة فداء أسرى بدر أن يعلم العارف بالقراءة والكتابة عشرة من المسلمين ، ومن العجيب أن جميع دساتير الأمم العربية ينص على وجوب تعليم الشعب ، ومع ذلك فالأمية تطغى فى جميع أقطارها طغيانا ذريعا ، ولعل ذلك يرجع إلى عدم اتباع السبل المستقيمة فى القضاء عليها ، ومن أجل ذلك فسنعرض بعض الأمم التى اعترضتها هذه المشكلة . وما عملت من الوسائل لحلها .

* * *

فى الصين . حمل « جيمى ين » حملة شعواء على الأمية حتى محاها فى ٢٧ مليونا من الأنفس فى أربع سنوات ، وذلك بوساطة دعايات منظمة . ونشر صور كاريكاتورية ملفتة للأنظار ، وتسيير المواكب الجذابة ، وحشر كل المتعلمين للعمل فى ميدانها . . . وفى « انجلترة » كانت الشرطة تقبض على الأميين وتدخلهم المدارس قهرا ، وكان على كل ناظر مدرسة أن يقبل أى طالب . بحيث لا يباح له العذر فى عدم وجود أماكن . بل عليه إيجاد المكان بأى وسيلة . وبكل وسيلة ، ويدخل فى ذلك الأعمى والأصم والأبكم وضعيف العقل . فلكل الحق فى التعليم وعلى الدولة تعليم كل فى المكان الذى يناسبه . وبالوسيلة التى تتفق مع تعليمه . . . وفى ألمانيا صدر « قانون بروسيا »

١٨٥٤ م ، وعم التعليم العام كل طبقات الشعب فانمحت الأمية محوا تاما ، واحتفل بتعليم آخر أمى فيها قبيل الحرب العالمية الثانية . وكان النظام أن تقوم الشرطة فى كل جهـــة من جهاتها باحصاء الأميين والأميات ، وبعدذلك توزعهم على مدارس مكافحة الأمية. أما الأطفال فأذا ما بلغوا السن المدرسية أحصوا ووزعوا على المدارس التى تقرب من مساكنهم ، ولشدة الشرطة فى تنفيذ القانون لا يفر أحـد منهم ، وقد بلغت العناية بذلك أن يستقبل الشرطى الطفل عند وصول الأسرة إلى المنزل الجديد ، أو البلدة الجديدة ، فيأخذه بنفسه ويذهب به إلى المدرسة ، وليس للناظر عـذر فى عدم قبوله .. وفى فرنسا أخـذ فى تنفيذ « قانون التعليم العام » منـذ سنة ١٨٨٢ م . على أنه لم يبلغ من الدقة فى التنفيذ مثل ما فى ألمانيا وانجلترة .. وفى أمريكا وضع قانون التعليم العـام على أساس إقليمى ، فيفرض على كل ساكن فى القرية ضريبة سواء أكان له أولاد أم لم يكن ، وذلك ليتعلم بالمجان كل أولاد القرية ، وبهذا صارت كل قرية مسئولة عن تعليم أبنائها بوساطة مجلس يسمى (مجلس المدرسة) ، وكذلك يفرض على كل منطقة أن تنشىء مدرسة ريفيـة كبيرة يتعاون أهالى المنطقة فى إقامتها وإدارتها ، ومع هذا فعلى الثمان والأربعين ولاية التى تتـكون منها الولايات المتحدة أن تتضامن كل مع الأخرى فى المسئولية والمعاونة حتى تؤدى للجماهير فى أنحاء الولايات حقها كاملا فى العلم ورفع المستوى الثقافى فيها جميعا ، واشترك المثقفون وذوو الرأى من جانبهم الشخصى فى هذا الميدان

فتالفت الألوف من الجمعيات التى تضم الآباء والمعلمين لهذه الغاية ، وجعلت هدفها حسن إعداد المعلم ، وتحبيب الطالب فى الاستمرار فى التعليم ، وتيسير سبله له فضلا عن المساهمات الأخرى ... وفى تركيا قامت النهضة الحديثة فيها على يد (مصطفى كمال) ... ولقد سن لمحو الأمية قانونا توسع فيه بضم نشر الثقافة الشعبية إليه . وهذا القانون يحتم على كل قرية أن تبنى مدرسة كبيرة تتسع لمن يسرى عليهم قانون التعليم العام ، ثم تعلم فيها الكتابة والقراءة ، وتلقى المحاضرات الثقافية العامة فى (قاعة محاضراتها المعدة لذلك) وتعرض المناظر الثقافية فى السينما الثقافية التى أقيمت بها ، كما تعقد حفلات القرآن . وهذه المدرسة يطلق عليها (بيت الشعب) ولم يقف عند هذا الحد ، بل حتم على جميع الجنود فى الجيش أن يتعلموا ، وبهذا ارتفعت نسبة المتعلمين فى الدولة من ٢٥ ٪ إلى ٧٠ ٪ فى سنوات معدودة ، ... ولقد كان يقوم بنفسه بتعليم الأميين ، حيث كان ينصب سبورته فى المكان الذى نصب فيه مدفعه لمحاربة الأنجليز (بمنطقة جناح قلعة) . وكان يقوم المثقفون بتعليم الأميين فى كل مكان ، فى البيت والمسجد والطريق ، ودور اللهو ، حتى نهضت البلاد نهضة مرموقة بالاحترام من جميع أمم العالم ... وعلى ضوء ما تقدم يمكن بلادنا العربية التى ترتفع فيها نسبة الأمية ارتفاعا مزريا ، حيث هى تتراوح بين ٩٥ ٪ و ٩٠ ٪ و ٨٥ ٪ و ٨٠ ٪ وما هو أقل من ذلك بنسب متقاربة . أن تؤلف لجانا لمحو الأمية ونشر الثقافة الشعبية موحدة فى تنظيمها ومنهجها

بحيث تخطو إلى غايتها بخطى سريعة ، مراعية القضاء عليها أولا فأولا بالنسبة للأطفال الذين هم فى سن الالزام وذلك بأحياء كتاتيب الاعانة ، وبالدروس المسائية حتى لا يزحفوا على محيط الأمية وتظل المكافحة طريقا لا تنتهى .

****

أما مناهج التعليم فى جميع مراحله من أولى وابتدائى وثانوى وفنى وعالى ودينى . فيجب أن تكون ذات سياسة ثابتة ، فلا تظل مدارسه ومعاهده كما هى الآن حقولا للتجارب ، فيها اللغو والاسفاف . والأرهاق والأعنات . حتى أنها لم تربط ثقافة الناشئين بحياة المجتمع وحياة العصر . ففقد التعليم حيويته ، وصار جسما من غير روح ، كل بضاعته أن يفتح للمتعلمين باب الخيال على مصراعيه فيتغنون بمجدهم العربى ولا يعملون على إحيائه ، ويفخرون بماضيهم الذهبى ولا تكسب أيديهم ربحا واحدا لأنفسهم فى سوق الفخر . يجب أن توضع المناهج على أساس الروح الاستقلالية الكاملة ، وأن تجمع بين الدراسة النظرية والفنية ، وأن تهدف إلى المثل الأعلى فى السلوك ، وأن تساير اختلاف الاستعدادات والميول والمواهب حتى يستخرج إكسير النبوغ الدفين فى نفوس الشبيبة ، كما حدث فى انجلترة لما تراخت حركة النبوغ فيها فى القرن الماضى فيها ... ويزاد على هذا فى التعليم الجامعى أن تهدف مناهجه إلى إحراز جميع سجايا العقل والخلق مع القدرة على القيام بمختلف المهن فى ميدان الاجتماع والخدمة العامة ، وضمان حرية المناقشة والرأى كما يقول (برتراند رسل) و (جون استيوارث مل)

الذى يعتبر كتابه عن الحرية أهم مايقرأ فى الجامعات الانجليزية ، كما تهدف ألى القضاء على شكلية التعليم ، وعلى الحد من المعرفة .

* * *

وكما يجب أن يهدف التعليم الجامعى أيا كان نوعه إلى ماتقدم فكذلك يجب أن يهدف التعليم الدينى سواء أكان فى الأزهر بمصر ، أو فى جامع النجف الأشرف بالعراق ، أو الجامع الأموى بسوريا ، أو جامع القرويين بمراكش ، أوالمقاصد الأسلامية ببروت ، أوجامع الزيتونة بتونس أو غيرها من المعاهد الدينية فى جميع البلاد الأسلامية ألى الغاية التى قصدها الأسلام من الدين والمعرفة ، فلا يظل الطلاب واقفين عند مداخل العلوم ، ولا مكتفين بدراسة الحواشى ، ولا مضيعين وقتهم فى النقاش اللفظى ، ولا مقفلة عقولهم ، مغمضة عيونهم عن استكشافات العلم الحديث ومخترعاته ، بل عليهم أن يخطوا ألى الأمام وأن يساهموا فى كل نواحى الحياة حتى يكونوا قوة روحية دافعة توجد التوازن أزاء التقدم المادى ، مجددة فى خطواتها عمل النبوة ، مستأنفة بجهادها مجد الأسلام . بألسنة مرهفة مصقولة . لها بيان الأدب . ودقة العلم . وأحاطة الفلسفة . وألهام الشعر . وبصيرة الحكمة . وقدرة السياسة غير متهيبة حرية الفكر ، ولا متوانية عن تيسير مصادر الدين لغير العرب بالترجمة والنشر والدعاية ، ولا متباطئة فى الملاءمة بين مبادىء الأسلام السامية وبين مقتضيات الحضارة من تقدم ، مع القيام بأحياء تعاليم أهل التجلى والكشف الذين يتزعمهم الغزالى ، وتعاليم أهل الوحدة الذين يتزعمهم محي الدين بن العربى

حتى يكون الدين بحرا يروى ظمأ القلوب وشمعا تهدى ضلال العقول .

* * *

وأما المعلم فهو الروح والقلب والحيوية ، ولن تغنى النظم والمناهج شيئا إذا ظلت أغلبية المعلمين مأجورين لامربين ؛ فالمربى الحقيقى هو من اجتذب من خير العناصر لمهنة التعليم ، ففهم روح التربية الحديثة وأهدافها فهما صحيحا . وآمن بها أيمانا ؛ فاندفع بقوة إيمانه إلى الجهاد فى سبيل تخريج جيل ذى شخصية موجبة ؛ مع تجديد معلوماته ، وتصفية روحه ، حتى ينطبق عليه قول أفلاطون - :

« التعليم أفضل شىء يملكه الرجال »

ولقد كان أعداد المعلم هذا الأعداد الكامل هو السبب فى نهضة ألمانيا وانتصارها فى حرب السبعين ، حتى قال بسمرك السياسى المشهور : « لقد انتصرنا على عدونا بمعلم المدرسة » ، ولما أنشئت مدرستا « أيتون . وهارو » بانجلترة ، ورأى الناس أثر المدرسة فى طلبتها يتمثل فى حسن النظام ، وقوة الأخلاص ، وصدق الحكم ؛ وكمال الأعداد والاستعداد ، ثم وجدوا أن ذلك كله راجع ألى أن مدرسيها قد اختيروا من ذوى الكفاءة والشخصية والخلق أقبلوا عليهما أقبالا لا مثيل له . . . وفى الجامعات المرموقة بالتقدير والاحترام لا يكفى فى الأستاذ المرشح للتدريس بها أن يكون معلما تنحدر منه المعرفة إلى الطلبة فحسب ، بل يجب أن تتسع المعارف على يديه . وأن يكشف عن أشياء لم تكن معروفة . وأن يلقى ضوءا على مجاهل ظلت خفية . وأن يكون له علم أو فن يصح أن يقول فيه :

« لا يهمني مايقول الثقاة » مبرهنا على مايقول بالبرهان الذي يقوى على كل نقد . ويرد كل اعتراض . وأن يكون ذا مقدرة على غرس قوة المعرفة لا المعرفة فحسب في نفوس طلابه حتى يكون لهم نظام عقلي ممتاز، وروح علمية صافية . تؤثر في أخلاقهم واتجاههم وشعورهم ، ومما يؤسف له أن بلادنا العربية أصيبت بنكسة حادة في المعلم ذاته ، وقد شاهدت ذلك ولمسته من صلاتي ودراساتي المتعددة ، فالمعلمون إلا النذر القليل تدور رحاهم على فراغ ، يسبون « مهنة التدريس » ويختصمون على اللحاف ، ويقفون على ساحل بحر المعرفة ، ويحشدون أعصابهم بكميات وافرة من الأخيلة والأوهام فيتعبون أنفسهم وسواهم ولا ينتجون ، ثم هم في النهاية لايتوانون عن الفرار من ميدان الجندية في التربية والتعليم الى امتطاء كراسي عجاف في أحد الدواوين ، بينما المثقفون في الأمم الحية يعتزون بهذه المهنة ، ويجندون أنفسهم لها تجنيدا يدعو الى الاجلال ، كما في ألمانيا اليوم بعد نكبتها في الحرب الأخيرة ، فالمدرسون فيها يتقدمون لانقاذ الجيل الناشيء ناكرين ذواتهم وأشخاصهم كي تعود ألمانيا غدا عظيمة كما كانت بالأمس عظيمة .

* * *

وزبدة القول في مسائل التربية والتعليم أنه يجب أن نعد لها المعلم الكفء الصالح ، وأن نوحد مناهجهما في جميع بلادنا العربية مع تعديل طفيف يتمشى مع اختلاف البيئة ، وأن نعمل على تبادل الطلاب والأساتذة والبعثات بينها ، وأن نعتمد الشهادات والدرجات

العلمية فيها مع توحيد مستواها ، وأن نلائم بين ماعندها وبين ماعند الأمم التى سبقتها فى المدنية حتى نختصر الطريق ، كما يجب أن نقيم مؤتمرات تعليمية عامة تتناوب فى جميع أقطارها ، بحيث يكون لتلك المؤتمرات بحوث علمية مهمتها تلقى كل جديد ثم درسه وتطبيقه ـ وكذا يجب أن نكون لجانا تربوية تقوم دراساتها على أساس صلة التربية بعلم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم النفس التعليمى ، وعلم النفس التجريبى ، وعلم النفس الأجرامى حتى نضع نظمها على أسس علمية سليمة ، يستمد منها الاتجاه الديمقراطى الحديث فى التربية والتعليم مقوماته ، فلا يكون فيها طريق سلطانية كالتى كانت فى عهد « أقليدس » حين أتاه ابن أحد الملوك فى غطرسة راغبا العلم فقال له : ليس فى التعليم طريق سلطانية يامولاى . وحتى لاتظل روحه استعبادية لأخراج كتبة دواوين فحسب ، ولا يظل رؤساؤه ومفتشوه ذوى غطرسة وعنجهية... وفى النهاية يجب أن تتسع ميزانيات التعليم فيها كلها اتساعا يؤدى المهام الملقاة على عاتقها . . . ويكفى دليلا على وجوب هذا الاتساع أن انجلترة لما ساءت ماليتها بعد الحرب العظمى طالب وزير ماليتها إذ ذاك بأنقاص اعتمادات متنوعة . ومنها اعتمادات التعليم . فقوبل بمعارضة شديدة . وكان الجواب « اقتصدوا » فى كل شىء . ومن كل شىء . إلا من اعتمادات التعليم . . .

****

وأما الثقافة بما تحوى من أدب وفن ـ فيجب أن تقوم على أساس ثقافتنا العربية القديمة ، كما تقوم الثقافة اليوم فى بلاد الغرب على أساس

الثقافتين ، الأغريقية واللاتينية ، القديمتين ، خاصة وثقافتنا القديمة لم تزل فيها من عناصر القوة والحيوية مايوجهنا إلى المجد . وما يوحى ألينا بكرامتنا . لأنها حضارة الفلسفة والفن والمثل العليا ، ومن الحتم علينا مع ذلك أن نمزجها بآداب الغرب وفنونه وعلومه حتى ندرك حقائقها وحتى تكون بيدنا آلاته فنسخرها كما سخرها هو ، ولا نظل عالة على مدنيته واختراعاته واستكشافاته ، وركننا هـذه الثقافة لغة وبيان .

* * *

أما اللغة ، فهى كائن حى . يخضع لقانون التطور . ككل الكائنات الحية ، وينفعل لاختلاف الزمن والبيئة والأقاليم ، فيصح ويمرض ، ويرتفع ويهبط . وهكذا متطورا مع الحياة ، ولغتنا العربية لم تندعن هذا القانون ، وما كانت الفترات التى أصيبت فيها بالوهن والضعف من فطرتها وانما بفعل الظروف التى أحاطت بها ، فهى ذات حيوية قوية . ومرونة اتسعت لكل جديد وغريب . بدليل أنها إبان عصرها الذهبى فى الأندلس وبغـداد وسعت مختلف الحضارات . ومتنوع اللغات . فصبغتها كلها بصبغتها ، وأفسحت صدرها لها ، ونحن اليوم حملة لواء الضاد ، وورثة راية الفصحى فى جميع بلاد العروبة ، مهمتنا أن نرد أليها اعتبارها ـ بأن نفزع أليها كلما جدد الاجتماع الانسانى للحياة مطالب . أو نثرت المدنية الراهنة جديدا من مخترعاتها وآرائها ـ فنشتق من أصولها الدوال والأوصاف ، ونشذب ونهذب الدخيل الأجنبى ، ونصنع الأثواب فيها على قياس ما يراد منها . حاذفين مالا فائدة منه

من ألفاظها - إذ لا معنى لأن نجد لكلمة مثل « الداهية » مثلا نحو سبعة وأربعين اسما ثم نبحث عن كلمة عربية لدواء فلا نجد ، ونظل ندرس نتاج مدنية الغرب الحاضرة بلغة غير لغتنا فى مدارسنا وجامعاتنا . !!
ومهمتنا كذلك أن نجعلها محور التخاطب والتفاهم فى بيوتنا ومجتمعاتنا ، وأن نضرب على أيدى العابثين بها من المفتونين بمدنيـة الغرب الذين يفتحون للرطانات الأجنبية صدورهم فتغزو بيوتهم وبيئاتهم وتفتنهم عن قوميتهم وتقاليدهم الكريمة مغمضين عيونهم عن عبر التاريخ . وسوء عاقبة الذين افتتنوا عن لغتهم وقوميتهم وتقاليدهم - ومثلهم فى ذلك أولئك الملحدون فى اللغة ؛ الذين يدعون إلى شىء نكر . وهو هجر اللغة العربية وإحلال العامية أو اللاتينية محلها ، وما دروا أنهم بهـذا يقطعون مدد القوة الذى يدفعنا إلى المجد والحياة ، وكان عليهم أن يعتبروا بما أصاب هذه الدعوة من الفشل حين قام بها قديما « عبدالله الجرجانى » و « عبد الكريم النهشلى » ، ثم القاضى الأنجليزى « ويلمور » سنة ١٩٠٣ فى كتابه « اللغة العربية المحكية بمصر » بالنسبة للعامية ، ورجوع كتاب تركيا إلى الدعوة للغة العربية وعلى رأسهم الكاتب « حاجى خليفة » فى كتابه « كشف الظنون » ناعيا على اللاتينية واستعمالها ، لأنها معقدة بحكم طبيعتها .. » ولقـد فات الداعين إلى العامية أنها لهجات مختلفة . فعامية مصر غير عامية العراق ؛ وعامية العراق غـير عامية سوريا ولبنان ، وعامية اليمن وشرق الأردن غير عامية الجميع وهكذا . أما العربية فموحدة فى جميع بلاد الناطقين بها . وفرق ما بين لغة موحدة ولغة متعددة وما وجدت الاختلافات بين الأمم إلا بسبب وجود

التعدد فى اللغات كما يقول « ديكارت » ومن أجل تحقيق فكرة الوحدة بين الأمم يسعى المفكرون لايجاد وسائل لذلك حتى أن الطبيب البولونى « لودفيج زامنهوف » وضع « لغة الاسبرانتو » وعمل على جعلها عالمية . فهل بعد ذلك يسوغ لكائن من كان أن يقول لنا : اهجروا العربية ، واستعملوا اللاتينية أو العامية . . . ؟ لقد كان من الخير أن يقول : قربوا اللغة العربية ويسروها وسهلوها واجعلوها موسيقية جذابة فهى غنية ثرية ، وهى بطبيعتها وفطرتها تواتيكم بما تريدون من تبسيط حتى يديرها الخاصة والعامة معا فى أفواههم تخاطبا وتثقيفا ... فأننا نعتز بها لأن الاعتزاز باللغة توءم الاعتزاز بالوطن ، وما الفترة التى يشمخ فيها الشعب بأنفه إلا الفترة التى تشمخ فيها لغته بأنفها ، خاصة وهى اللغة التى نزل بها القرآن . وافتتن بها من تذوقها من غير أبناء جلدتها ، حتى أن « جون فون » الكاتب الذائع الصيت كتب قصة خيالية مؤداها أن سائحين اخترقوا باطن الأرض فلما توسطوها نقشوا بالعربية كتابة تدل على سياحتهم أيمانا منهم بأنها لغة الخلود .

* * *

وأما الركن الثانى وهو البيان العربى الذى يصح أن نتوسع فى مدلوله حتى يشمل كل أنواع النثر والنظم فقد قاسى ضروب المحن بعد أفول نجم العروبة فى دولة المشرق (ببغداد) ودولة المغرب (بالأندلس) حيث سجن فى كتب معقدة عنيت بهلهلة أثواب الفصاحة والبلاغة ، وأركان التشبيه ، وأحوال الاستعارة ، كما عنيت بتعميق بحور الشعر ، وتقطيع تفاعيله ، وتحرير موازينه ، فتلهى الكتاب

والشعراء بهذا كله عن الأخذ بقضايا العلم الصحيح ، حتى تصلبت أفكارهم ، وتجرت آدابهم ، فاتهموا القدر ، وفرشوا ملاءتهم للدهر يسبونه حينا ويشكونه حينا ، وكانت النتيجة أن فقد هذا البيان شعرا حكيما ، ونثرا ساحرا ، وأدبا خالدا ، ولا زالت هذه الآثار فى بياننا إلى اليوم ، ومن الواجب ونحن فى مستهل النهضة فى جميع أقطارنا العربية أن نعمل على تكوين الكاتب والشاعر تكوينا صحيحا ، وذلك بأن نكون لسانهما تكوينا بلاغيا ، ونكون فكرهما تكوينا علميا ، أما تكوين اللسان فبأن يكون متلائم الأسلوب ، فالأسلوب هو البلاغة كما يقول (موسان) ـ وبالوجازة التى هى فى العربية روح وطبع ـ وماجاءتها الأطالة إلا بعد اتصالها (بالآرية) ـ ثم بالدراسة المستفيضة لأمهات كتب الأدب والبلاغة ومعاجم اللغة ... وأما تكوين الفكر تكوينا علميا فببث القوة فيه ، قوة الفن والخلق والايجاد حتى لا يرخى له العنان فيسير وراء خواطر سائبة ، بل يكون له ضابط ، وعليه حارس ، وحوله ينابيع يستقى منها ، فأن خطب صاحبه هز المشاعر ، وإن كتب عنى بالحقيقة الفنية كما يعنى المهندس بالحقيقة الجغرافية ، لأنه تزود لكل موقف من كل نبع ـ من علم النفس ، ومن أصول العمران ، ومن تطور الحياة الفكرية فى العالم ، ومن فلسفة التاريخ ، ومن ثورات الأصلاح ، ومن الأحصاءات العامة للسكان وطرق الاستغلال الاقتصادى ، وبهذا كله يتمكن من دقة الموازين ، ومنطقية الأقيسة فى جميع ما يعالج من أدب وفن وقصة وسياسة ، نثرا كان ذلك أو نظما ، فقادة القلم فى بلاد الغرب اليوم يسلحونه (بالعلم) . « فولز »

مثلا يساير فى كتاباته مذهب داروين فى النشوء والارتقاء ، وبرناردو شو ، يعالج الأدب على ضوء نظريات علم الاجتماع . ومذاهب الحياة الحديثة فى استكشافاتها واختراعاتها وثوراتها ، ثم هم مع هذا باعثو الصيحة الأولى فى أوطانهم للثورة أو للدفاع أو للاصلاح وهم النافخون فى آدابهم الروح الملائمة لظروف هذه الأوطان ، كما صنع (فولتير) عند ما رأى جو الحرية فى فرانسا ساما خانقا ، حيث أخذ يندد بها ويطلق عليها إسم (فرانسا المريضة) بينما يمدح جارتها ويطلق عليها اسم (انجلترة الصحيحة) حتى أشعل نار الثورة الفرنسية ، وكما صنع « تين » عند ما رأى انهزام فرانسا فى حرب السبعين ، حيث أخذ يعيب على أدبها . أدب العاطفة المائع الفاتر ، ويدعو إلى أدب القوة المرتكز على العقل والارادة والعمل حتى وقفت على قدميها ، وكما صنع كاتب روسيا الأعظم « تولستوى » حيث رأى الفلاحين يموتون جوعا بينما تتخم وتترف طبقة النبلاء والقياصرة فناصر بقلمه البارع ساكنى الأكواخ من الزراع والفلاحين ضد استبداد القياصرة وترفهم حتى مهد للثورة والنهضة معا . . .

* * *

واذا كانت الصحافة تحتل اليوم مكان الصدارة ، لأنها كما يقولون (صاحبة الجلالة) فيجب ألا تتخذ فى معيتها من هم أشبه بالحروف المكسورة فى الطبع ، ممن اذا ما رأوا ثغرة اختلاف حولوها إلى فوهة بركان ، أو اذا ما أبصروا دمية محطمة من دمى الفضيلة والآداب نفخوا فيها روح الشر . كما يجب أن تكون البرلمان الحر ، واللسان الناطق بما تجيش به صدور

المفكرين والمصلحين من الآراء والمقترحات والانتقادات والتوجيهات، وأن تكون سند الحاكم والمحكوم فى تنوير الأفق وتدعيم الحق .. وكما تحتل الصحافة تلك المكانة الممتازة - كذلك الاذاعة والمسرح والسينما لها ما يلى تلك المكانة، فيجب أن تطهر من رجس الفن، وأن يعد رجالها أعدادا فنيا كاملا . وأن تحمل للناس المثل العليا فتهبط عليهم بها لتجذبهم إلى العلو . فهكذا قامت الرسالات، وأن تحمل فيما تذيع وتمثل وتعرض كل أنواع المعرفة، فالعصر عصر ألمام .. وفضلا عما تقدم فأنه يجب حتى تستكمل الثقافة كل المهام الملقاة على عاتقها أن نحيي المخطوطات القديمة . ونطبع ذات القيمة العملية منها . بعد درسها وفحصها على يد لجان خاصة . وأن نعقد من حين إلى حين مؤتمرات ثقافية عامة تتألف من العلماء المتخصصين فى التربية والتعليم والأدب والفن . وأن نكون مكتبا دائما للتعاون الثقافى يقوم بجمع الأحصاءات والمعلومات العامة . وأن نحمى الملكية الأدبية والفنية فى جميع بلادنا العربية، وأن نعمل على ربط الوثائق بين جميع دول العروبة وبين الهيئة العالمية للأمم المتحدة فى الثقافة والتربية والتعليم . بحيث تشترك البلاد العربية فى مؤتمرات الهيئة الثقافية كلما عقدت . وقد أحسنت الجامعة العربية صنعا اذ انتدبت من يمثلها في المؤسسة الثقافية العالمية من حين ألى حين .

••••

وبهذا كله مجتمعا يمكن تكوين حضارتنا العربية الجديدة وأقامتها على الأسس التى قامت عليها حضارتنا القديمة . تلك الحضارة التى قامت

على أسس كونت شخصيتنا الفردية القوية . تلك الشخصية التى استمدت كيانها من أدراك واسع يقوم على العلم والمعرفة ، ومن وجدان سام يقوم على الخلق والفضيلة ، ومن أرادة فعالة تقوم على الثقة بالنفس والاعتداد بها . ومن تلك الشخصية الفردية تألفت شخصية مجتمعنا ، وتكونت دولتنا . وقامت حضارتنا .. ولقد اتصلنا أثناء هذه الحضارة بحضارات الأمم آخذين معطين . فنشأ عن الاخذ والعطاء مزاج خاص هو الحضارة العربية المسيطرة على العالم أبان القرون الوسطى . حيث كان الفكر العربى هو الموجه للأنسانية عامة . وكان من الأمم التى خضعت له ما اندمج فى العروبة لغة وجنسا كشمال أفريقية وما جاورها . وما اندمج فكرا وطابعا ولكنه ظل محتفظا بجنسيته ولغته كأيران وأفغانستان وما جاورهما . وكذلك الأتراك السلجوقيون والأتراك العثمانيون . على أن هذا الاندماج مهما اختلفت أشكاله كان يستمد روحه الأصلاحية من هذا الطابع الذى طبع بمقومات الحضارة العربية . فشيدت كل أمة من تلك الأمم مجدها . وصانت استقلالها .

* * *

ونحن اليوم معشر الأمم العربية نريد نهضة ترفع مستوانا . وتجعلنا نتعامل مع أمم الأرض معاملة الند للند . وان يكون ذلك ألا بأن نتساوى معها فى درجات الفكر والثقافة ، لأن النظام الوجودى الآلى يأبى أن تتساوى فى الحقوق الأنسانية جماعات متفاوتة الأقدار كما لا يمكن أن تتساوى فى المناعة الصحية أجساد متفاوتة القابليات

وليست الوسيلة إلى نهضتنا الصحيحة وحضارتنا المنشودة . وتخويلنا حقوقنا . وأحلالنا مكانة منيعة بين الأمم بالدعاوى العريضة . ولا بالمنطق الدبلوماسى . ولكن بالعمل الجدى وتحليتنا بالصفات والخصائص التى تلتئم والنظام الآلى للوجود عن طريق نهوضنا الحسى والمعنوى بمختلف وسائل الاصلاح فى البيئة والمدرسة والحياة العامة حتى لا نتخبط فى حكم أنفسنا . ولا نقصر عن استغلال ثروتنا ولا نستعصى على التطور . وبذا نبلغ مكانتنا من الحياة الصحيحة . ونتكافأ مع سوانا من الأمم .

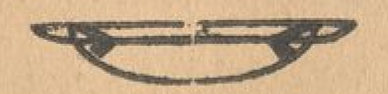
****

لقد سلك الغرب اليوم فى وسائل « التربية والتعليم » وفى اصطفاء زبد المعرفة ، مسالك أوصلته إلى حضارته المشاهدة . فأما عن التربية والتعليم . فانه هندس أدمغة النشء هندسة منظمة ، فلم يتركها مهوشة خلاياها ، تتضارب فيها الخواطر وتتمدد . بل عمل على أن تمتاز كل خلية منها بصفات خاصة ، ثم تتصل كل واحدة بأختها اتصالا يجعلها وحدة لا تقبل التجزئة ، تنتج إنتاجا حكيما منظما . وبذا اعتدل ميزان مظاهر الفكر الثلاث - الأدراك والوجدان والارادة - وذلك بعد أن غذى كلا منها بما يناسبه . حيث أغدق المعرفة على الأدراك ، والتهذيب على الوجدان ، والقوة على الارادة . مسترشدا فى كل هذا بالأصول التربوية والنفسية والاجتماعية ، ومتمشيا مع مذهب « البراجمتزم » أو « فلسفة الذرائع » وهو مذهب يقوم على غربلة المعارف الانسانية وتزويد النشء بما ثبت نفعه ، وتأكدت قيمته .

حتى لا يضيع وقت هذا النشء المتهيء لخوض معركة الحياة سدى ، وبذلك يقفز طلاب العلم إلى الأمام قفزات سريعة ، فتخطو بفضلهم الحضارة أيضا إلى الأمام بدون توقف . تلك الحضارة التى أصبح الطابع الذى تميزت به هو الطابع العلمى المتحكم فى مظاهر الطبيعة وتسخيرها فى السلم والحرب .

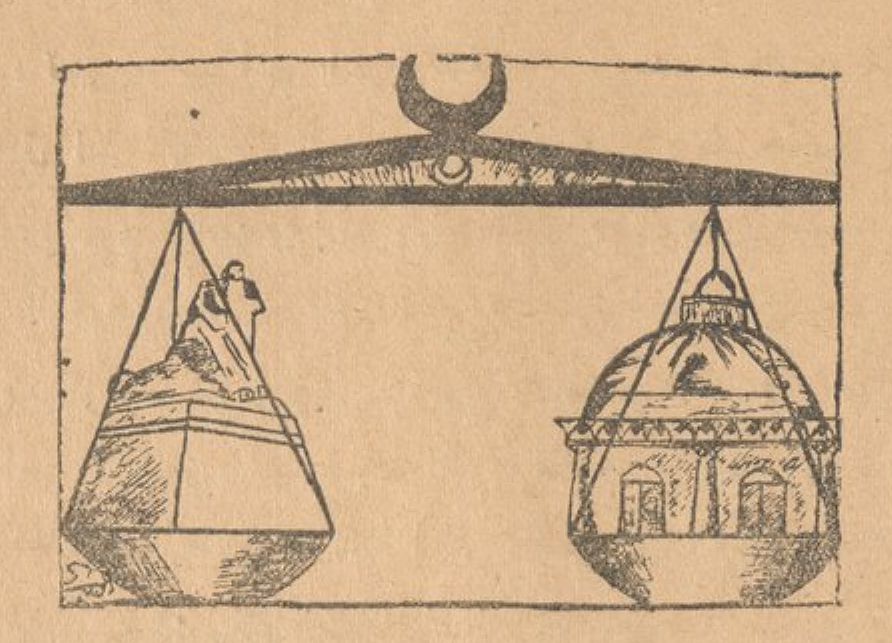
****

والبلاد العربية فى حاجة إلى رجال يتميزون بهذا الطابع ويساهمون فى توجيه بلادهم ويشتركون فى الميدان العلمى للانسانية ، بل ويكونون مبرزين فى مؤتمرات العلماء ، عاملين بوحى ميراثنا الروحى على التعاون الفكرى الصحيح تعاونا لا يقوم على الجبروت الذى تنفث سمومه تلك المدنية المادية . بل على التهدئة ، وأنماء روح الصداقة والحب ، عاملين على تحقيق معنى الزمالة الانسانية . . ومتى تكون هذا النظام العقلى الموحد فى جميع أممنا العربية . أولا ـ ثم امتدت فروعه إلى غيرنا من الأمم . ثانيا ، انتقلت معانى الثقافة على يدنا من مرتبة تلك الحياة التى يعيش فيها الغرب ببطنه ومعدته إلى المرتبة التى يعيش فيها بعقله وقلبه وروحه ، وماذلك على الله ببعيد . . . !



روح التشريع والحكم الصالحين

وأثرهما فى اطراد نهضتنا العربية ..



ميزان العدل

****

العروبة رابطة قوية بين بنيها ، لها وجهة واحدة ، وغاية واحدة وقديما كان يسير بلادها قانون واحد ، ونظام للحكم واحد . وكان هذا القانون مرنا فى تشريعه ، مرنا فى تطبيقه . حيث كان يتمشى مع البيئة والأحداث ، وسنن التطور . وهى إلى اليوم كما كانت بالأمس . فماضيها واحد ، وآمالها واحدة ، ونظم الحكم فيها متقاربة . وفى ذلك ما

يساعد على توحيد التشريع فى جميع أقطارها . ولقد قرر مؤتمر القانون الدولى المنعقد بالأسكندرية فى مايو سنة ١٩٤٦ م وجوب التعاون الوثيق بين أمم العروبة فى مسائل التشريع . كما عنيت الجامعة العربية بهذا التعاون . فألفت لجنة برآسة سعادة عبد الرزاق باشا السنهورى للعمل على تحقيق هذه الغاية لما له من سابق الصلات بالبلاد العربية وتشريعها حيث قضى نحو ستة أشهر بالعراق سنة ١٩٤٢ م وضع أثناءها قانون العراق المدنى . كما وضع قانون سوريا المدنى أيضا . ونظم جامعتها السورية . ومما لا شك فيه أن فى تأليف لجنة من رجال القانون المشهود لهم بالكفاءة وسعة الاطلاع فى جميع بلاد العروبة تعمل على توحيد ما يمكن توحيده من قوانينها . وأدخال الدراسات المقارنة فى برامجها الجامعية . ما يحقق ما نصبو أليه من تشريع صالح موحد يسير بنهضتنا قدما ألى الأمام . فقديما كان لدولتنا العربية العظيمة تشريع عام موحد، حيث أديرت شئونها على سعتها وتباعد أقطارها بقوانين واحدة، روعى فيها المرونة والأحكام والتمشى مع البيئة والأحداث وسنن التطور .

••••

أما الحكم فقد قام على أساسين . الحق والعدل . وهما دعامة استقراره وقوته وسبيل اتجاهه بالشعب إلى الخير والأصلاح والنهوض . وكان بحكم الطبيعة العربية مبناه الصراحة والحرية ، والمظهر الغالب عليه اليوم فى البلاد العربية هو الملوكية ـ فالجمهورية فى نظر علماء الاجتماع وثبة من وثبات الشعوب ، تعقب الحيرة السائدة فى أفراد الشعب ، وطبيعتها القلقة وعدم الاستقرار . وفى جمهوريات فرانسا

المتعاقبة الحجة والبرهان على صدق ما نقول . وفى أمريكا تكون المسئولية الوزارية لا لمجلس النواب كما فى مصر وانجلترة مثلا ، بل لرئيس الجمهورية . أما الدكتاتورية فهى شر ما بعده شر ، حيث يمسك زمام الحكم بيد حديدية ، أنسان مسحور التفكير ، مستبد فى رأيه وعمله . ومآلها الضياع فالفناء . وفى دكتاتورية كل من النازية والفاشستية عبرة لمن يعتبر ... ويقرر علماء الاجتماع أن الملوكية مزاجها الاستقرار والاستمرار . وكلاهما وظيفة الطبيعة ، ولذلك اتخذتها أقدم الأمم الديمقراطية « كانجلترة » شعارها . حتى أن الجمهورية لما قضت على الملوكية فيها على يد « أوليفر كرمويل » فى القرن السادس عشر الميلادى لم تثبت إلا أحد عشر عاما ثم عادت الملوكية وظلت إلى اليوم ،

****

وفى البلاد العربية يتمثل الحكم فى نظامين فقط « ملكى وجمهورى » أما الأخير ففى « سوريا ولبنان » وأما الأول ففى « مصر والحجاز ، والعراق ، وشرق الأردن واليمن » وهذا الوضع هو الذى اختاره كل شعب من شعوب العروبة لنفسه ، وهو الوضع السليم له . لأنه مستمد من تقاليد الشعب وروحه وثقافته ، وهو أقرب من حدود الكمال بالنسبة له ... ولما كانت السلطة العليا التى تتمثل فى الملك أو الرئيس فى مسيس الحاجة إلى الهيبة والسلطان ، والحاشية والحشم ، وضعت فى ميزانيات الدول مخصصات الملوك ، أو الجيب الملكى ، كما فى انجلترة . ووضعت مرافق الدولة وخزائنها تحت تصرف رئيس

الجمهورية ، كما فى الولايات المتحدة . وكذلك أعطى كل من الملك أو الرئيس السلطة التنفيذية فى يده حتى لا تطغى السلطات الثلاث بعضها على بعض ، فجعل مجلس الوزراء فى الولايات المتحدة مثلا خاضعا لرئيس الجمهورية. كما جعل حق إقالة الوزارة فى يد الملك فى الحكومات الملوكية .

* * *

وسواء أكان الحكم جمهوريا ، أو ملكيا . فهو حكم ديمقراطى يقوم على الانتخاب والاختيار . ويتمثل فى مجلسى النواب والشيوخ ، حيث تكون الوزارة مسئولة ، وحيث لا ينفذ تشريع ألا بعد عرضه عليهما وأقراره ، وحيث الحرية مكفولة لكل عضو فيهما ، كما هى مكفولة من قبل لكل ناخب ، ولكن مع الأسف لم تتم تلك النيابة الممثلة فى كلا المجلسين فى جميع البلاد العربية .. ومن الواجب سرعة أتمام ذلك .. كما أن من الواجب تنقية هذه النيابة من الأدران التى شابت الانتخاب والتمثيل البرلمانى والحكم فى المجالس التى قامت - وذلك باتخاذها لعبة رياضية أو هواية فنية ، أو فرصة للنفع والاستغلال .. ولقد سرت هذه الروح مع الأسف من الشيوخ إلى الشبان بالعدوى ، فصارت قيم الأخلاق التى اصطلح عليها فضلاء الجيل السابق ، وقررتها أصول الاجتماع ، مزلزلة الأركان ، وهذه الحال السيئة وقعت فيها بعض الأمم قبلنا كفرانسا مثلا ، وكذلك قدماء اليونان منذ خمسة عشر قرنا ، فكانت سببا فى سخرية بعض الفلاسفة بالديمقراطية ، كالفيلسوف استوفان اليونانى ، كما كانت سببا فى تشاؤم بعض الباحثين اليوم ، كأميل فاجيه الفرنسى ، إذ يقول

« الواقع أن الديمقراطيـة بطبعها ترفع مقام العاجزين وتعليهم إلى المناصب التى غيرهم أكفأ منهم بها »... ولهذا يجب أن يلاحظ فى الانتخاب والنيـابة الـكفاءة ، ولن يتحقق انتخاب الـكفء ونيابتـه إلا برفع المستوى الثقافى فى جميع بلاد العروبة ، وعندئذ تـكون لغة الحكم لغة أحساس الشعب وحاجياته ، وتـكون كلمة الديمقراطية غير قاصرة على حكومة الدولة ، بل تـكون روحا متغلغلة فى كل نواحى الحياة العامة ، ويكون الخلاف الحزبى خلافا سليما فى مبناه ومعناه ، وأهدافه وأغراضـه ..

* * *

إن الخلاف فى المذاهب الحزبية قائم على المزاج الشخصى أكثر من قيامـه على اختلاف الرأى ، تخرج الاختلاف فى هـذا المزاج بالخلافات الحزبية من دائرة الرأى والخلاف عليه إلى الخصومة الشخصية ، ولو أننا حصرنا خلافنا فيما يختلف عليه الرأى بالفعل . لألفينا أنفسنا متفقين جميعاً على أكثر من تسعين فى المائة من مسائلنا العامة ، مختلفين على عشرة فى المائة منها ، ولاستطعنا أن نتعاون جميعا متضامنين على تحقيق هذه التسعين فى المائة من المسائل تعاونا يسرع بالبلاد إلى التقدم الذى نرجوه كلنا لها من أعماق قلوبنا فى أيمان وأخلاص ..

* * *

أما الأداة الحـكومية فهى السلطة التنفيذية المـكونة من وزارات الدولة وموظفيها ، ومن ألزم ما يجب نحوها - تنظيمها وأصلاحها -

لأنها الربان الذى يقود سفينة الوطن . وبها ترعى حقوق أفراد الشعب وتنفذ مصالحهم ، وما الوظائف إلا مرافق عامة دعت إليها ضرورة الاجتماع والعمران ، وهى واجبة على الأفراد القادرين عليها لحفظ نظام الدولة ورعاية مصالح الأمة على أساس العدل والانصاف ، ومع الأسف فالشائع ألا ينال الضعيف ممن لا وساطة له حقه فى عدل أو أنصاف ، حتى جار الناس بالشكوى ، وحتى أساءوا الظن بالعدالة . فكان ما كان من الاضطراب والفوضى ... ولقد أدركت الامم الراقية قيمة هذه الأداة فهيأتها تهيئة كاملة ، وأعدتها أعدادا حسنا ، ووفتها حقها من الأجر والجزاء ، وعملت على تنفيذ خطة السرعة والانجاز ، وأشعرت رجالها أن عملهم فى الواقع ما هو إلا خدمة عامة ، فيجب أن يكون للجانب الأنسانى فيه نصيب واف .. فهذه أمريكا مثلا ألفت « لجنة الاقتصاد والانتاج » سنة ١٩١٢ م وجعلت مهمتها تنظيم الأعمال الحكومية ، واقتراح أحسن الوسائل لسرعة أنجازها على وجه يتفق والروح الاقتصادية العامة ، وحاكتها « انجلترة » فألفت « لجنة الأداة الحكومية » سنة ١٩١٨ م لمثل هذه المهمة . وفى البلاد العربية على اختلاف درجاتها وتفاوت عناية القوة المهيمنة فيها على الشئون العامة . نجد أن لجانا تؤلف للتفكير والعمل على أصلاح هذه الأداة ، ولكن بدون جدوى - ثم زاد الطين بلة هذا التطور فى نظم الحكم الذى به تتعاقب الأحزاب على كراسى الوزارات - وهذا التطور فى النظام النيابى هو مبعث الحياة والحركة - والصورة العملية لسلطة الشعب وإرادته ومركز الاتصال بين التشريع والتنفيذ بعد أن كانت

للأبهة والسلطان فى العهود الماضية .. ولكن وا أسفاه قد آل بتلك الكراسى إلى مركزية تلك الأحزاب السياسية المتنافسة .. أقصد مكتب أى وزير فى أى بلد من بلادنا العربية ، تجد مكتب هذا الوزير مضيفة للزوار المناصرين له ، ومركز وساطة لقضاء المصالح والشفاعات ، ومحكمة تفتيش لتلقى فى الباستيل من يحكم عليه بالتشريد والرفت من الموظفين المناصرين لغير الحزب الحاكم وقد عالجت هذه الحال أمم ذات عرق فى الديمقراطية فجعلت الوزير ممثلا لسياسة الدولة العامة . أما النواحى الادارية فى وزارته فمن اختصاص وكيل الوزارة الدائم المتخصص .

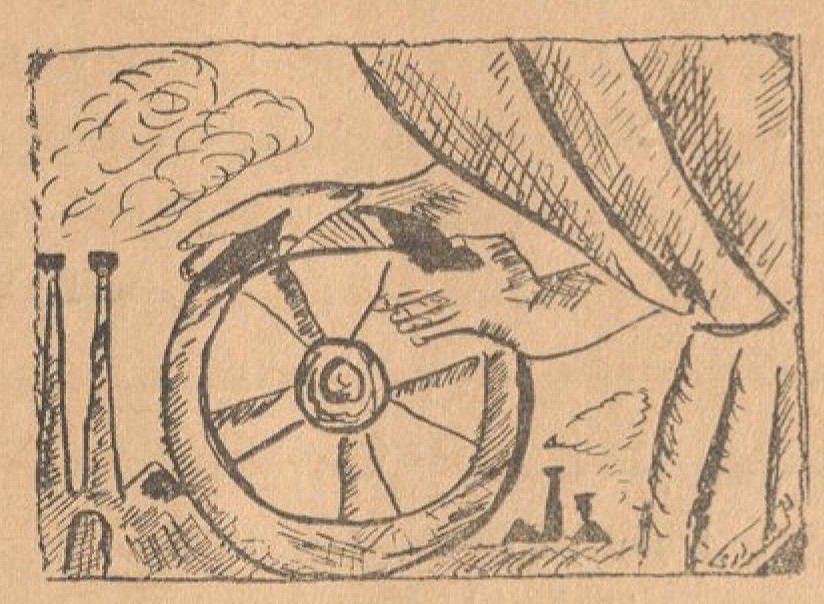
* * *

فى جميع البلاد العربية يشكو أفراد الشعب حالهم ويلقون التبعة على عاتق حكوماتهم ، وفى الحق أن التبعة يشترك فيها كل من الراعى والرعية ـ ، لقد كان شعور سلفنا الصالح أن على الراعى أن يعمل وعلى الرعية أن تشاطره العمل ، فكان المجد وكانت النهضة ، ذلك لأن الرعية كانت تعترف بما لها من حق وما عليها من واجب فتقوم به خير قيام ، وكانت تعتز بحقها وكرامتها ، وكان الراعى ساهرا يقظا على مصلحتها . فلما نسيت الرعية هذه القواعد انزلقت الحكومات إلى ما انزلقت اليه الرعية . فاضطربت المعانى السامية التى لا قوة للشعوب بدونها . واضطرب معنى العدل فى النفوس . ونسيت الحكمة القديمة الخالدة « العدل أساس الملك »

* * *

الروح الاقتصادى

وكيف تكون أوضاعه فى البلاد العربية . . . ؟



يد الاقتصاد تدير عجلة التاريخ

* * *

المسألة الاقتصادية لها الشأن الأول فى الأمم على اختلاف أنواعها
ـ فى السلم والحرب ـ وهى العماد القومى للحضارة فى تنفيذ مخترعاتها .
وتتابع استكشافاتها ، وكم كان لها على مسرح التاريخ مواقف مثلت الدور
الأول فيها . . . ومنذ وضعت نظرية « التفسير الاقتصادى للتاريخ »
تطور التعليل التاريخى للأحداث عالمية كانت أو غير عالمية ، فبعد أن
كانت العلة هى . الحق ، أو الواجب . أو العلم . أو الشجاعة . صارت
العلة هى الاقتصاد وحده أو الاقتصاد وعلة أخرى ، وبخاصة الحضارات

طلوعا وأفولا بدليل أن مدى الحضارة المصرية قديما كان مرتبطا بميزانيتها التى بلغت ٣١٦ مليونا من الجنيهات ثم مال ميزان الميزانية فمال معه ميزان الحضارة .

* * *

وقديما كان يراد بالمسألة الاقتصادية المال ، وكان مقصورا إذ ذاك على المعدن الرنان . من الدرهم والدينار ، إذ كان هذا المعدن هو الوسيلة لقضاء المآرب ، وبلوغ المطالب ، كما كان السبب فى إذكاء الفتن وأطفائها ، وأدارة رحى الحروب وأيقافها حتى انحصر الفكر فى هذا المال ، وصار مطمع الطامعين بوصف كونه المهيمن على ماعداه ، ثم ظهر للفكر أن هذا الحصر خطأ ، وأنه هو وغلات الأرض سواء ، فصار يقصد بها ـ المال وغلات الأرض .

* * *

ثم اتسعت الدائرة فصار يقصد بالمسألة الاقتصادية . أنتاج الأرض من زراعة ومعادن ، وكذا أنتاج الصناعة ، كما صار يقصد بها الصلة بين رأس المال والعمل ، وبين صاحب العمل والعمال وقد بدأ هذا التطور يتجلى فى العالم رويدا رويدا منذ النهضة الأوربية الحديثة . وتطور الصناعة تطورا عظيما كان نتيجته أن أثرى أصحاب رؤوس الأموال ثراءاً جماً بينما العمال الذين من يدهم يجبى هذا الثراء لايجدون الكفاف ، وقد نفخت النهضة روحها فى الصناعة فنمت وتقدمت كما نفخت روحها فى عقول هؤلاء العمال فتنبهت ، وصارت الحال أنه كلما زاد المال فى رؤوس الأموال ألوفا ، زاد الألم فى رؤوس العمال ألوف الألوف

عوامل اقتصادية. فالاقتصاد يقف وراء كل مشكلة، وهو الذى يسير فى الواقع كلا من الجسم السياسى والصناعى والاجتماعى، حتى قال المستر « هنرى مورجنتاو » أحد وزراء مالية الولايات المتحدة سابقا

« يجب عقد مؤتمر اقتصادى عالمى يضع ميثاقا »
« للاقتصاد، لا تقل أهميته الحيوية عن الميثاق »
« السياسى، إذ أنه لن يتحقق سلم عالمى ثابت إلا »
« بوضع نظام اقتصادى مستقر تسير عليه »
« الأمم جميعا ... »

****

والحقيقة أن قوة السلطان اليوم أصبحت تتلون بالفحم والحديد والبترول وخيرات البحار بعد أن كانت القوة أو معظمها للنظريات السياسية فى القرن التاسع عشر، وصار الاعتماد اليوم لا على الخطب، ولا لغة العواطف التى كان يعتمد عليها السياسيون، بل على الأرقام، ورصد الدرهم والدينار، وصار رجال الاقتصاد فى مقدمة الرجال الذين يمسكون بمصائر الأمم، وغدت علومه فى الطليعة .. وما مكن الولايات المتحدة من الزعامة العالمية اليوم، إلا لأنها أوجدت لنفسها اقتصادا حديثا يقوم على وفرة الانتاج وتشغيل الأيدى العاطلة. مسترشدة فى ذلك بوسائل التقدم العلمى وما تهديد روسيا وسعيها المتواصل لفرض مذهبها الشيوعى إلا لكى تعطى من زيت الشرق ما يسد مطامعها كما يقول الكاتب الانجليزى « برابيسفور » ... تعمل كل أمة من أمم الغرب اليوم على توفير موارد كافية لها لمواجهة

عوامل اقتصادية . فالاقتصاد يقف وراء كل مشكلة ، وهو الذى يسير فى الواقع كلا من الجسم السياسى والصناعى والاجتماعى ، حتى قال المستر « هنرى مورجنتاو » أحد وزراء مالية الولايات المتحدة سابقا

« يجب عقد مؤتمر اقتصادى عالمى يضع ميثاقا »
« للاقتصاد ، لا تقل أهميته الحيوية عن الميثاق »
« السياسى ، إذ أنه لن يتحقق سلم عالمى ثابت إلا »
« بوضع نظام اقتصادى مستقر تسير عليه »
« الأمم جميعا ... »

****

والحقيقة أن قوة السلطان اليوم أصبحت تتلون بالفحم والحديد والبترول وخيرات البحار بعد أن كانت القوة أو معظمها للنظريات السياسية فى القرن التاسع عشر ، وصار الاعتماد اليوم لا على الخطب ، ولا لغة العواطف التى كان يعتمد عليها السياسيون ، بل على الأرقام ، ورصد الدرهم والدينار ، وصار رجال الاقتصاد فى مقدمة الرجال الذين يمسكون بمصائر الأمم ، وغدت علومه فى الطليعة .. وما مكن الولايات المتحدة من الزعامة العالمية اليوم ، إلا لأنها أوجدت لنفسها اقتصادا حديثا يقوم على وفرة الانتاج وتشغيل الأيدى العاطلة . مسترشدة فى ذلك بوسائل التقدم العلمى وما تهديد روسيا وسعيها المتواصل لفرض مذهبها الشيوعى إلا لكى تعطى من زيت الشرق ما يسد مطامعها كما يقول الكاتب الانجليزى « برابيسفور » . . . تعمل كل أمة من أمم الغرب اليوم على توفير موارد كافية لها لمواجهة

مطالب تقدمها ، ورفع مستوى المعيشة فيها ، وتنشيط القوى الانشائية بها، والمساعدة على الابتكار .. وقد كان لموسولينى نشاط فى هذا الباب فردم البرك والمستنقعات وزرعها كما زرع ما استطاع من الأراضى الممهدة فى الجبال - ولانجلترة نشاط محمود أيضا حتى أصبح من يقطع الطريق من لندن إلى أدنبرة يجدها كلها منزرعة - بينما لو ألقى الانسان نظرة فى بلادنا العربية لوجد فى مصر مثلا نحو ثلاثة ملايين وأربعمائة وخمسة وتسعين ألفا من الأمتار المربعة صالحة للزراعة ولكن يزرع منها مليونان وأربعمائة ألف فقط - وفى العراق نحو اثنى عشر مليونا ومائة ألف بينما يزرع منها نحو مليونين وثمانمائة وسبعة وتسعين ألفا - وفى سوريا نحو ثلاثة ملايين وثلثمائة وتسعة وخمسين ألفا بينما يزرع منها نحو مليونين وثلثمائة وتسعة عشر ألفا - وقس على ذلك لبنان وشرق الأردن والمملكة السعودية - وبخاصة فى منطقة الحقوف . ويمكنك أن تجد مثل ذلك فى غيرها من البلاد العربية بل والشرقية كايران ، مع أن السكان يتزايدون ويتضاعفون والحالة الاقتصادية تسوء ، والفاقة تكثر ، والأيدى العاملة تتعطل ، ولذلك يجب ايجاد المشاريع لزرعها ، وايجاد الفائض الأقتصادى فى كل بلد من بلادها ، كما يجب أن يوضع اقتصادها على أسس تضمن عدم التدخل فى استقلالها ، فأن الامتياز الذى كان يعطى قديما كمنحة استعمل حقا فى يد أصحابه . فتدخلوا فى شئوننا السياسية وشئوننا الجمركية ، وكان أول شىء أن خفضت الضريبة على أعظم مورد للثروة يجبونها من ورائه وهو الزيت المعدنى فجعلت ٨ ٪ . وظلت تركيا ومصر والعراق وسواها لا

تستطيع فرض زيادة عليه مددا طويلة . وهـذا الغنى الذى لا يقدر بمال ، والذى يستخرج من منطقة كركوك فى شمال العراق ، وفى ساحل البحر الأحمر ، وفى نجد على ساحل الخليج الفارسى ، وفى شبه جزيرة سيناء ، وفى إمارة البحرين ، وفى الجزيرة العربيـة . أصبح بجانبه الحجران الكريمان اللذان يستخرجان من كليفورنيا . وأستراليا . والترنسفال . وأورنج . والماس الذى يستخرج من جنوب أفريقيا شيئا غير مذكور .. أجل يجب على البلاد العربية أن تعيد النظر فى اقتصادها استقلالا وحقوقا وأيلولة .. كما يجب عقـد اتفاق اقتصادى أقليمى يؤلف وحـدة اقتصادية عربية تكفى نفسها ويكمل بعضها بعضا . مع تقوية الطاقة الصناعية لكل منها حتى تستطيع ألغاء الرسوم الجمركية على أساس سليم ، على أنه لا يمكن أن يتم عقد هـذا الاتفاق على الوجه الصحيح ألا اذا استطاع كل بلد من البلاد العربيـة استعمال أرصدته .. ويجب أيضا توحيد النقد واستقلاله فلا يرتبط بالفرنك ولا بالجنيه الاسترلينى ولا بسواهما .. ويجب تقوية احتياطى الذهب وكذلك يجب أنشاء صندوق دولى عربى ، وفى النهاية يجب تأسيس الشركات الصناعية والزراعية والتجارية المساهمة بحيث يكون المساهمون كلهم من البلاد العربية جميعا وبحيث يكون لهم فى النهاية مجلس إدارة واحد . وجمعية عمومية واحدة . وتكون الأغلبية العاملة عربية . والقلة العاملة أجنبية لكى يملأ فراغها فيما بعد من أبناء العروبة من تعده هذه الشركات أعدادا كاملا ، أما المؤتمرات العامة ، والغرف

التجارية المتنوعة . والمعارض المختلفة فهى من ألزم اللوازم لتوحيد الاتجاه وتقويته واقتطاف ثمراته .

****

ولأهمية الاقتصاد أنشئت وزارة للشئون الاقتصادية فى بعض بلادنا العربية وهى فكرة حسنة ، سبقت بها بعض الأمم المتمدينة كفرانسا ، والغرض منها حصر القوة الاقتصادية فى يد واحدة والمهم أن يوضع هـذا التوجيه فى يد أكفاء وظيفتهم التحرى والتحقيق والأحصاء مع الاتصال المباشر بالخارج أذ ليس فى الأمكان اليوم أن يعيش بلد مقفلا أبوابه على نفسه ، والجهاز الاقتصادى عندنا فى الواقع محتاج أشد الاحتياج ألى الأصلاح ، وألى التنظيم المنطق المتمشى مع العلم والاجتماع حتى يتحسن الأنتاج والتوزيع والاستهلاك ، وحتى يوجد الفائض الاقتصادى لكل قاطن على أرض الوطن ، وحتى يلغى الاحتكار الأجنبى وتستنبت الأراضى البور ، وينتفع بمساقط المياه ، وتقرر الضرائب المتدرجة ، وتلغى الرسوم على حاجيات الفقراء .

* * *

أن العامل الأقتصادى اليوم يتحكم فى كل ناحية من نواحينا السياسية والثقافية والاجتماعية ، ولقد كان اختلال ميزانه فى بلادنا بدء التدخل الأجنبى ، وفرض نظام الامتيازات فيها ، وشل حركات حكوماتها عن الأصلاح فشاعت الأمية وجمدت النهضة الفكرية ، وعمت الفوضى الاجتماعية ، حتى عدمت روح النشاط العلمى والفكرى

فى الميادين العملية، كما عدمت مجاراة حركات الكشف والاختراع ، وعجزت عن دفع هذا الوباء المهلك الممثل فى الفقر والمرض والجهل ، مع أن فيها كنوزاً من الثروة ، ولكن مع الأسف لم تهتد لمفاتيحها ، أو بالحرى لم تبحث عن تلك المفاتيح ، ولم تهتم بوضعها فى أقفالها حتى تفتح سفر المجد الذى ظل مطويا تلك الحقب الطويلة .

* * *

إن فى كل بلد من بلاد العروبة منابع للثورة يمكن أن تستغل استغلالا يكفيها ويفيض عنها ، فيها مايجود به باطن الارض من ثروات معدنية . كالبترول والفحم والحديد . والفوسفات . والمنجنيز والنحاس ، والذهب . والفضة وسواها . فيجب أن تؤلف للكشف عنها واستخراجها شركات أهلية تمدها الحكومة بكل ما تحتاج أليه من عون ، وأن يرغب فى التوظف فيها الأخصائيون من أجانب ووطنين بالأجر والمكافأة على المهارة فى الكشف والوصول إلى إلى ماتخبئه الأرض فى باطنها ؛ كما يجب العمل على تمهيد الراحة لهم فى المطعم والمسكن والعمل والمتعة . . وفى كل بلد من بلاد العروبة أيضا مصادر الثروة الزراعية، فيجب أن تقوم على أسس علمية كالتى فى البلاد الغربية ، أما بالنسبة للأرض فبتسميدها وتقويتها واتساع مساحاتها المنزرعة عن طريق الرى والصرف ، وبالنسبة للغلات فباختيار أصلح البذور وتنويعها ، وبالنسبة للآلات فباستخدام أحدثها وأنفعها ، وبالنسبة للملاك والعمال الزراعيين فبوضع التشريعات التى توفق بين الحقوق والواجبات لكل منهما . . . وفيها الصناعة . وهى

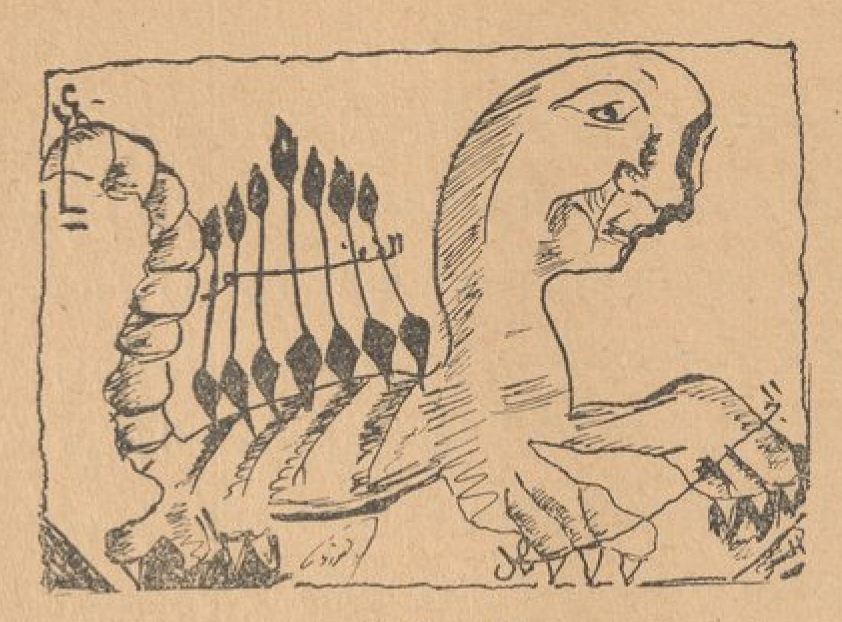
مع الأسف لم تقف على قدميها فى أى بلد من بلادنا العربية ، حتى
اتكاد كل مطالب الحياة عندنا من صنع الأجانب وهذه سبة لاتصبر
على حملها النخوة العربية طويلا ، لهذا يجب تأليف لجان مهمتها بحث
حالة صناعات البلاد واقتراح التدابير الكفيلة لفتح مصانع تقوم
بسد حاجاتنا ، من غزل ونسيج ، وزيوت . وكحول وأدوية .
وآلات صناعية ، وآلات حربية ، مع الحماية الجمركية لها ، وتشجيع
القائمين بها ببذل القروض لهم من جهة وتفضيل منتجاتهم على المنتجات
الأجنبية من جهة أخرى ، ثم أرسال بعثات إلى الخارج للتخصص ،
واحضار خبراء للاستفادة بهم ، إلى غير ذلك من منابع الثروة فى البر
والبحر والأصدار والاستيراد ، حتى نقابل مشكلة السكان التى تتزايد
فى بلادنا تزايدا يهدد نظامنا الأجتماعى بالحل -خاصة والوعى الأنسانى
يشتد حدة فى هذا العصر ، وهو يؤمن بالنظرية الاجتماعية القائلة : -

« أن الدولة مادامت قد سمحت لأنسان بأن »
« يولد على أرضها فقد التزمت ضمنا بكل حق »
« له فى أن يأكل ويشرب ويتعلم ، ويعيش صحيحا »



الروح الاجتماعى

وكيف يتجه اتجاها سليما فى بلادنا العربية . . . ؟



البؤس الاجتماعى

****

لا يوجد مجتمع يسعد فيه الناس إلا إذا قامت الحياة الاجتماعية فيه على نظام مستقر ثابت ، نظام يعطى كل فرد من أفراده حقه كاملا غير منقوص . . . نظام يجد فيه كل فرد من أفراده معدات العيش من وجهتيها الحسية والمعنوية متوفرة لديه ، حتى يستطيع أن يعيش عيشة تؤهله لأن يكون عضوا عاملا فى المجتمع العائلى وهو الأسرة ،

والمجتمع الثقافى وهو المدرسة . والمجتمع البيئى وهو المهنة أو الوظيفة ، والمجتمع القومى وهو الوطن . والمجتمع البشرى وهو المحيط العام للانسانية . . ، وهذه الحياة الاجتماعية بهذا المعنى الشامل هى مايدفع أليها التطور الأنسانى دائما . وبخاصة فى هذا العصر الذى تقاربت فيه الأنسانية واتصل بعضها ببعض .

* * *

ونحن معشر العرب لم نسر إلى هذه الغاية سيرا منظما، فكانت النتيجة أن أخذت غرائزنا تثور . ووجداناتنا تضطرب . وميراثنا الثقافى المعتدل يتناثر أمام تسرب المبادىء الهدامة إلى محيطنا ، بينما المطامع الدولية تعمل مع تلك العوامل السابقة على فتح الثغرات التى تدخل منها الفوضى المقلقلة لأوضاعنا فى العقائد ، والأفكار ، والتقاليد . وكل شيء يتصل بكياننا ، ولا منجاة لنا من هذا كله إلا بتسيطر الروح الاجتماعى على مجتمعاتنا تسيطرا تنفعل له الوجدانات والمشاعر انفعالا يعقبه العمل والأصلاح والنهوض . . .

* * *

لقد كان لنا قديما روح اجتماعى قوى صاحب مجدنا عند ما تألق نجمه . ولازم حضارتنا عند مابسطت سلطانها ، ثم أخذ يتضاءل حتى صار روايات نقرؤها فى أسفار تاريخنا ، وأمثالا نضربها للناس ولا نحققها ، وصرنا بسبب هذا الجمود نعانى الفوضى السياسية والفوضى الأخلاقية والفوضى الفكرية ، وصرنا مهددين فى كل شيء ،وهذه حال عانتها أمم كان حالها مثل حالنا ، ولم تتخلص من الوهدات التى وقعت

فيها إلا على يد الروح الاجتماعى القوى الذى ولدته الفكرة الاجتماعية التى تغلغلت فى مجتمعاتها حتى أصبحت روحا مهيمنة . وعقيدة مسيطرة .

* * *

والفكرة الاجتماعية بمعناها العلمى ترجع إلى ذيوع الفوضى السياسية فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، حيث قام العالم الاجتماعى الأشهر « أوجست كونت » بوضع « علم الطبيعة الاجتماعية » كما قام من قبل العالم العربى الخالد « عبد الرحمن بن خلدون » فى القرن الثانى عشر بوضع « علم العمران » بسبب ذيوع الفوضى السياسية إذ ذاك أيضا . وقد عمل كل من هذين العالمين الجليلين على التماس العلاج لهذه الفوضى .. وبالدرس والبحث والاستقراء تبين لهما أن الفوضى السياسية ترجع إلى الفوضى الخلقية ، وأن الفوضى الخلقية ترجع إلى الفوضى الفكرية .. فلقد كان منحى التفكير فى زمنيهما يجمع بين أسلوبين متناقضين . فى البلد الواحد والبيئة الواحدة . وفى المجتمع الخاص . والمجتمع العام . وعلى ضوء ماشاهدا ودرسا وضعا الأسس والأركان لعلم الاجتماع . هذا فى الشرق . وهذا فى الغرب . ثم جعلا أصلاح الفكر هو العماد الأول لكل أصلاح ... وأذا كان الفضل فى وجود الديمقراضية العصرية يرجع الى « فولتر » و« فيكتور هوجو » و« جان جاك روسو » وسواهم من رجال الفلسفة الحديثة . فأن الفضل فى وجود الفكر الاجتماعى وشيوعه يرجع إلى « أوجست كونت » و« شارلس » و « رينان » وسواهم من

رجال الاجتماع « كهربرت سبنسر » ... ثم أنه بعد أن كانت القيمة فى المسائل السياسية لسياسة الدول التقليدية وما بين الملوك والأمراء من المناوشات والمنازعات أصبحت القيمة لرأى الجماعات فى هذه المسائل . . . وبعد أن كانت القيمة أيضاً فى المسائل الاجتماعية للحكام ورؤساء الأقطاعيات صارت القيمة لرأى الجماعات فى هذه المسائل أيضا .

* * *

وأن مما لاشك فيه أن المذاهب الاشتراكية حتى المتطرفة منها حدت من جبروت أصحاب رءوس الأموال وأنانيتهم واعتبرت العمل فى يد العامل ليس بأقل شأنا من المال فى يد المالك . ولذا فللعامل من الحق الاجتماعى مثل ما للمالك من هذا الحق . وكانت النتيجة أن اتجهت المسألة الاجتماعية اتجاها متسع المدى . وبلغت من علو الشأن مبلغا عظيما لا فى أوربا وحدها . بل وفى أمريكا . حتى أخذت الأحزاب تضعها فى برامجها . وأصبح من أجلها تقوم حكومات . وتسقط حكومات ، وصار لها المكان الأول فى السلم والحرب على حد سواء .

* * *

هذا فى بلاد الغرب ، أما فى مصر وسواها من البلاد العربية فقد جاءتها هذه الفكرة متأخرة حيث كان الحكام مشغولين بالخصومات والمنازعات عن مصالح الشعب وحاجياته ، وحيث كان الشعب يرسف فى قيود الجهل والتقاليد الضارة ، وحيث كان الظلم والاستعباد يضعان فى أعناقه الأغلال ، فلا الأمن مستقرا ، ولا الحرية مكفولة ولا مورد المعرفة مهيئاً للورود ، وما كان المحصول الضيق الذى

يتمشدق به عداؤه ألا قشورا لا تصل إلى اللباب، وما كان أدبه السائد ألا معازف يتغنى على أنغامها المترفون من أدبائه، أو دفوفا يندب على رناتها البؤساء والمحرومون منهم، إلى غير ذلك من مدح مصطنع، وهجو مرير، وفخر كاذب ... وليس أدل على صدق ما نقول من أن النهضة الحديثة فى مصر مثلا بدأت على يد محمد على، وكان معظم اتجاهها إلى الأحياء الاقتصادى، وذلك لتدبير المال للجيش والأسطول، وفى عهد أسمعيل تنوع الاتجاه. وكان يبشر بالنجاح لولا الكارثة المالية التى كان يجب أن يحسب لها حساب ... ثم جاء عهد الاحتلال الانجليزى، فما اتجه بمصر إلى الناحية الاجتماعية المثمرة بل كان كل اتجاهه إلى تركيز أداة الحكم فى الدواوين، ووضع النظم التى تجعل الشعب آليا فى ذاتيته وشخصيته، حتى كانت ثورة سنة ١٩١٩ فكانت ثورة وطنية أصلاحية حيث أحدثت تبدلا بسيكلوجيا خطيرا فى نفسية الأمة، به زال خمولها الناشىء من خمودها السياسى الذى كان يبعث فيها الضعف وعدم الأقدام، فواجهت الغاصب بحقها فى الحرية، وواجهت الأجنبي بأحيائها الاقتصادى من مصارف وشركات ومؤسسات. وسايرت الاجتماع الأنسانى الذى مثلته «عصبة الأمم»، فى مسائل العمال وحماية الطفولة والنساء إلى غير ذلك من الاتجاهات المتنوعة. وتأثرت بمصر جميع بلاد العروبة على درجات متفاوتة، فكان الأحياء الاقتصادى، ثم كان الاتجاه الاجتماعى أخيرا.

* * *

على أن الخدمة الاجتماعية بقطع النظر عن ارتكازها على علم الاجتماع النظرى والتطبيقى كما هى اليوم فقديمة ، حيث كان الانسان يقوم بأداء مايحتمه الواجب من خدمة الفرد والجماعة ، فلقد ظهر التضامن الاجتماعى لدى قدماء المصريين ، وكان المظهر الأول له تجمع الناس عند الفيضان لدرء خطره . وتنظيم الرى . وأقامة القرى فى أماكن أمينة ، وكان من مظاهرها أيضا نظام المهن ، فابن الزارع زارع وابن الصانع صانع ، وابن التاجر تاجر ، وهكذا...وكذلك أيضا نظام الطبقات . ونظام العمل والعمال حيث كان جزء من العام يقضية العامل بدون عمل ، وعلى الدولة أن تهيء له طعامه وشرابه وما يحتاجه ، وفى عهد اليونانيين والرومانيين والاسبارطيين كانت الخدمات الاجتماعية قائمة على تربية الأجسام وتقويتها وسلامتها من الأمراض حتى تستطيع الحرب والنزال فى سبيل سلامة الدولة وسيطرتها ، وفى الجاهلية عند العرب كانت قائمة على سقاية الناس عند الحج ، ورفادة الفقراء بالطعام الذى يخرجه الأغنياء . وعلى الأموال للتى تقدم للآلهة من نقود وحلى تؤول بعد للمحتاجين ، وعلى الكرم والجود وأيثار الضعيف من الأهل والنفس ... وكان شارلمان يحتم على الأغنياء أطعام الفقراء والقيام بشئونهم ، وفرض فيليب ملك أسبانيا ضريبة خاصة من أجل الفقراء . . . أما الأديان السماوية فقد رسمت لها مناهج متنوعة باعتبار أن المال مال الله فيجب أن يصرف على عباد الله ، وما من دين وفى تنظيمها كالأسلام فكانت الزكاة ومصاريفها السبعة ، وكانت الصدقة والبر والأحسان . وكانت الرحمة بالعامل والطفل

والمرأة والعاجز والضعيف قبل أن توجد عصبة الأمم وغيرها ، ولقد كان الأمويون ينصبون الموائد على الطرق فى الصباح والمساء ، وكان الحجاج الثقفى يضع فى كل يوم من أيام رمضان ألف خوان وفى غيره خمسمائة خوان للجائعين ، وكان على عهد يزيد بن عبد الملك تتخذ دور الرياضة ، إذ شيد الحكم بن عمر الجمحى دارا جعل فيها شطرنجات ونردات وملاعب متنوعة ، وكتبا مختلفة للفنون والبحوث ، ومن ذا الذى ينسى هبات الرشيد ، وكرم البرامكة . . . ؟! ثم أن التاريخ يحدثنا عن البر والاحسان فى الأعياد والموالد والليالى المباركة فى عهود حكام المسلمين فى كل قطر وكل دولة ، بل وفى أفراحهم وختان أبنائهم ، فقد حدث قنصل روسيا فى مصر أن القاهرة فى نوفمبر سنة ١٨٣٧ لبست حلة من النور والجلال والزينة لمناسبة ختان أربعة من أولاد الباشا الكبير « محمد على باشا » وثلاثة من أبناء الباشا الصغير « ابراهيم باشا بن محمد على باشا » ، وأنه تقرر لهذه المناسبة تختين ١٢٠٠ طفلا من أبناء الشعب على نفقة الحكومة بحيث يكون ٥٠٠ من أبناء الطبقات الوسطى و ٧٠٠ من أبناء الفلاحين وأن يعطى كل ولد من الفريق الأول حلة جميلة ومبلغ ٥٠ قرشا فضة كما يقدم لكل ولد من الفريق الثانى طربوش وقطعة قماش وحذاء ومبلغ ٢٥ قرشا ـ وتم الختان فعلا فى قصرى « الدفتردار » و « ابراهيم باشا » لهؤلاء الأطفال الذين ركبوا العربات الفاخرة التى تجرها الجياد وتحرسها الجنود مع أبناء محمد على وأبناء ابنه ابراهيم واستمرت الحفلات ثمانية أيام وقدرت التكاليف بنحو سبعة آلاف كيس .

وفى بلاد الغرب - أوروبا وأمريكا - تسن التشريعات وتنفذ شيئاً فشيئاً كما حدث فى انجلترا عند ماسن « قانون الفقر سنة ١٦٠١ م - وفى أمريكا بعد استقرار النازحين بها صدر قانون العمل لكل نازح خاصة والسبل ميسرة، وإلا أجبر على العودة . . ثم أخذت الخدمات الاجتماعية تتنوع فيهما وفى سواهما ، من وجوب رعاية الأرامل والأمهات وكذا الأطفال ، ووجوب إيواء الشحاذين والمتسولين ، ووجوب قيام القادرين بأعانة المحتاجين لا فرق بين ملة وملة ، ولا جنس وجنس . . والخدمات الاجتماعية فى البلاد العربية تتجاوب أصداؤها بين بعضها والبعض الآخر لتشابه البيئة وتقاربها ، ولكنها فى حاجة إلى أخصائيين موهوبين مزودين بدراسات اجتماعية متنوعة ، بل ودراسات صحية ونفسية واقتصادية وأدبية كما هى فى حاجة إلى « مدارس للخدمات الاجتماعية » على نسق مدرسة نيويورك التى أنشئت سنة ١٨٩٨ وظلت تترقى فى دراساتها وتتطور مع الزمن ، ولعل مدرستى الخدمة الاجتماعيه بالقاهرة والأسكندرية تستكملان عدتهما فى هذا السبيل عن قريب حتى يكونا خير مدد للباحثين والباحثات وأهدى مرشد للوافدين والوافدات من بلاد الشرق والعروبة .

* * *

بقيت الآن مشاكلنا الاجتماعية التى بحلها نتكون تكوينا صحيحا ، ونكون أمة ذات كيان قومى سليم ، أمة تستطيع أن تساير الاجتماع الانسانى مسايرة غير مصطنعة فتقف على قدميها فى معترك الحياة بين دول العالم مرفوعة الرأس ، وهذه المشاكل معقدة ، وذات خطر بالغ

لتشعبها واتصالها بجميع طبقات شعوبنا العربية . ويرجع معظمها للفقر . . ومن المقرر أن النتيجة المترتبة على الفقر أن تحدث الانحرافات الاجتماعية المتوالدة من الخلل الاجتماعى . من زنا المرأة فى سبيل القوت ، وتشرد الأبناء بسبب عجز الوالدين ، وانتشار الجهل بسبب عدم وجود الفائض الاقتصادى الذى هو نواة الثقافة فى الشعوب ، وفى النهاية سوء الخلق والأجرام ، فالأنسان كما يقول « بنتام » إذا حرم طريق القوت كان هذا الحرمان أقوى الدوافع على ارتكاب الجريمة كى يحصل من وراء ذلك على مايقتات به . والجريمة أيا كان نوعها يجب أن تكافح ويقضى عليها . وهى هنا ليست بالقبض على المجرم بل بالقضاء على الوكر الذى تفرخ فيه وهو البيئة ، ولن يكون هذا القضاء بصب البترول عليها وأحراقها ، بل بأصلاحها اجتماعيا ، بحيث نمهد لأصحابها العمل والعيش ورفع المستوى . . . ولقد وضعت قواعد لعلاج هذا الحال على أساس المعاونات الاجتماعية ، وذلك برصد مبالغ كافية لها . بحيث توزع فى عدة سبل ينال منها المحتاج مايقيه الحاجة أو يخفف وطأتها ، وعلى هذا الأساس أنشئت المطاعم الشعبية ، والمساعدات الاجتماعية والأغاثة وملاجىء العجزة والمعوزين والأيتام . وأصلاحيات الأحداث ، كما سنت قوانين لمكافحة التشرد والتسول والشحاذة . ولقد انتهى الرأى الاجتماعى فى هذا إلى العمل على حل مشكلة الحاجة والعوز من أساسها . أما الحل الوقتى بالبذل والعطاء فلا يركن أليه . . كما انتهى الرأى إلى ألقاء هذه المهمة على عاتق الأخيار الأبرار من أهل النجدة ، أذ لافائدة ترجى

منها إذا لم يقم بالهيمنة عليها أكفاء ذوو همة وعدالة، وعطف وضمير،

* * *

ومن المشاكل أيضا مشكلة التفكير المختل ميزانه وهى تستوجب اختيار نخبة مختارة للأرشاد الاجتماعى - يقومون بأزالة الأدران التى رانت على الأذهان والقلوب - من تقاليد بالية لاتتعلق بمجد الماضى ولا بأصلاح الحاضر ولا بخير المستقبل، كما يحولون بين تلك الأذهان وبين المبادىء الخطرة من أن تتسرب اليها، ثم يغرسون فيها الأدراك المهذب، والتربية الكريمة، وهذا يستلزم السمو بثلاث - المسرح - والسينما - والأذاعة - بحيث تتلق أسمى الأنتاج الفكرى حتى تجذب الناس للعلو، . . . . . ، وإذا كانت الأمم على اختلاف مراكزها تعنى بالدعاية، فالأرشاد الاجتماعى - دعاية اجتماعية وتبليغ لرسالة الأصلاح، وتنوير لأذهنة الشعب. وسمو بروحه . فيجب أن يكون رجاله من ذوى الشخصيات التى تميزت بضمير حى، ورأى متزن، ولسان طلق، وماض كريم، وثقافة متسعة الأفق « سواء أتدبلموا أم لم يتدبلموا » - كما يجب ألا يظلوا معينين على اعتمادات تقف بهم عن التدرج والرقى.. أن مهمتهم السامية تحتم على القائمين بالأمر فى شئون الأصلاح الاجتماعى أن يجعلوهم فى الرعيل الأول رعاية وتشجيعا حتى يحققوا رسالتهم على خير الوجوه وأسماها . . . !

* * *

ومن هـذه المشاكل أيضا مشكلة الريف ، ففلاحوه هم أغلبية سكان البـلاد العربية . ولو أنك جست أى ريف فيها لوجـدت الفلاح يعيش أسوأ عيشة . فى مأكله . ومشربه . وملبسه وتعليمه ، ومستواه الأنسانى .... فى كثير من هذا الريف لا يأكل الفلاح اللحم ألا فى المواسم ، ولا يعيش ألا على طعام الأذرة حتى أصيب « بالبلاجرا» ، ولا يشرب إلا الماء العكر حتى أصيب بالدونستاريا والبلهارسيا وسواهما ، ولا يجـد حظه من الملبس الكافى الذى يقيه زمهرير الشتاء ؛ أما العلم والثقافة ومتعة الحياة وزينتها مما أحله الله فكيف ينالها وهو على ماهو عليه مما وصفناه؟! .. ولحل هذه المشكلة يجب العمل السريع على أنشاء المراكز الاجتماعية وتعميمها . تلك المراكز التى يشتمل كل مركز منها على دار للخدمة الاجتماعية ، ودار للخـدمة الزراعية ، وصالة للصناعات الريفية . وحمامات . ومغاسل وعملية مياه ، وساحة رياضـية ، ومكتبة . ويقوم بشئون العمل فيـه أخصائيون متمرنون ، من أخصائى اجتماعى ، وأخصائى زراعى ، وطبيب ، وزائرة اجتماعية . وزائرة صحية . فضلا عن القيام بمحاضرات خاصة وعامة وبما يتصل بها من عروض سينمائية ، مع الأشراف على الأقطاعيات الزراعية ... وقد وضع مشروعها على أساس حاجات البلاد وظروفها ، وروعى فى تـكاليفها البساطة ، ومشاركة الأهالى فى أدارتها ، والتعاون مع غـيرها من الهيئات الحكومية كالمجموعات الصحية والمدارس الريفية . . ومما يجب عمـله أيضا لتحسين حال الريف أنشاء القرى النموذجية . ونشر جمعيات التعاون ،

وإلزام ذوى الضياع الواسعة برفع المستوى العام لفلاحيهم حسا ومعنى .

****

ومن هذه المشاكل أيضا « مشكلة العمال » فيجب تحسين حالهم ، وحمايتهم من شر تقلبات الصناعة ، مع تأمينهم ضد العطل والمرض والشيخوخة بالطرق التى انتهى أليها التقدم العمالى فى العالم لما فى ذلك من صالح الدولة - قال مستر « هارولد باتلى » مدير مكتب العمل الدولى - :

« أن طمأنينة الدولة فى الوقت الحاضر أصبحت »
« لا تعتمد على تحصين حدودها فقط . بل على »
« قدرتها على أن تتيح لكل طبقات مواطنيها »
« وفى مقدمتهم العمال وسائل كافية ومناسبة للعيش »

وقديما دعا أفلاطون إلى أن ينال كل فرد فى الدولة مثل مايناله أعلى رأس فيها من حق العيش . . وقال مونتسيكو - : « أن الحكومة ملزمة أمام كل فرد من أفرادها بأن تعمل على أن ينال حقه من الطعام والملبس والمسكن » .... « وقال جان جاك روسو فى عقده الاجتماعى المشهور » - : « أن المجتمع لا يكون قد قام بواجبه إذا ترك أحد أفراده فى بؤس » . مع أن نزعته فى ثورته كانت من أجل تحقيق الديمقراطية السياسية ، لا الديمقراطية الاجتماعية ... ومن أجل هذا كان « مشروع الوقاية الاجتماعية » الذى صدر فى الولايات المتحدة سنة ١٩٣٥ ، ثم « مشروع بيفردج » الذى صدر فى انجلترة سنة ١٩٤٢ م والذى وصفه أحد الباحثين

عندنا بأنه نصف الطريق إلى موسكو ، ثم مشروع روزفلت الذى صدر سنة ١٩٤٣ م

* * *

ووجود وزارة للشئون الاجتماعية من ألزم اللوازم فى كل قطر من أقطار العروبة اليوم . على شرط أن تتكون تكوينا اجتماعيا صحيحا ، وأن يختار موظفوها اختيارا خاصا ، فيراعى فيهم أن يكونوا من المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية ، ومن ذوى المواهب الطبيعية الممتازة فيما يقومون به حتى يؤقلموا الأمزجة تأقلما نهوضيا إذا أرشدوا ، ويقيموا ظهر المعوز إذا ساعدوا ، ويرفعوا بيئة الزارع إذا تمركزوا وتعاونوا ، ويؤمنوا العامل بالعمل أن قدر ، وبالعون أن عجز ، وبهذا وبتقعيد المسائل الاجتماعية على قواعد ثابتة مع الابتعاد بها عن مثارات الحزبية ، تنهض نهضة سريعة يجىء بعدها نهضة المجتمع نفسه ، فيستطيع القائمون بشئون الاجتماع فيها أن يعملوا على مـــد جذوره الفكرية والعملية إلى كل جمعية وكل هيئة امتدادا يثبت أقدامها ، ويزيد فى مدى اتساعها ، كى تلقى التبعات عليها فى النهاية ، وحتى لا يكون للوزارة فى المستقبل ألا الأشراف والتوجيه فيصير الشعب فى شخص تلك الجمعيات والهيئات قادرا على أصلاح نفسه بنفسه : .. وهذا النظام هو ما اتبعته الأمم الراقية فى أوروبا وأمريكا . فهذه « جمعية نيفيلد الأنجليزية » مثلا تقوم بما تقوم به وزارة ، من مكافحة الفقر . وتحسين الصحة . وأيجاد العمل للعاطلين ، وتأمين من حيل بينهم ومن

العمل بسبب العجز أو الشيخوخة ، فضلا عن نهوضها الاجتماعى والثقافى ، حتى أنها أغدقت هباتها ومعوناتها على كثير من الجامعات . وفى مقدمتها ، جامعة لندن ، وكليات مانشستر ، وجلاسكو ،

* * *

أن الأصلاح الاجتماعى مهمة ذات خطر كبير ، فليس من المستطاع أن يتحقق أصلاح فى أمة إلا أذا انصرفت جهود بنيها للتنظيم الاجتماعى حتى ينال كل فرد فيها حقه من الحياة الكفيلة له ، ولن يكون ذلك إلا بنبذ الآراء المعوجة التى هى وليدة تفكير سقيم . تفكير يقوم على عدم التعادل فى الجهد والجزاء . وعدم التوازن فى الحقوق والواجبات ... وهذا الأصلاح المنشود لن يتحقق أيضا إلا إذا كان عمليا . وبحركة فاعلة من جانب حكوماتنا العربية وباستجابة وقبول من جانب شعوبها ، أفرادا وجماعات ، ومن الخطأ أن يعتبر الفرد نفسه كماً مهملا . فالفرد والجماعة وحدتان متغلغلتان ذاتا قطبين يقوم أحدهما الآخر ، فكل تأثير من أفساد أو أصلاح يلحق بأحد القطبين يتغلغل فى اتجاه الوحدة كلها ، ويتزايد بفعل الانعكاسات المتبادلة... ، والتفاعل بين الفرد والجماعة أشبه بالتفاعل بين ملكات النفس ، وهذه الملكات قد استطاع اليوم فن تدبير النفس تنظيم العلاقة بينها بمازجابين العاطفة والعقل والأرادة .... ولما كان الفرد فى أى مجتمع كان خاضعا لعاملين . هما الوراثة والبيئة ، وجب أن يتجه اليهما الأصلاح . فهما كائن حى . وكل كائن حى يمتاز بكثير من المرونة

فى وظائفه الفسيولوجية . فبأحكام طرق التربية والتوجيه يتحولان إلى ما ننشد من رقى . وبهذا يتحول سلوك الفرد إلى سلوك أرقى . فيشعر باحترام الأوامر التى تربطه بمجتمعه . ويعمل على تدعيمها . فتتلاشى فكرة الأنانية عنده . . والأنانية هى أصل بلايا المجتمعات . وهى التى دائما تصرف المتصفين بها عن حب التعاون ، وتفقدهم معنى التسامح ، ثم هى تدل كما أثبت علماء النفس على مرض فى الجهاز العقلى كما أنها فى نظر علماء الاجتماع أفعل العوامل فى تخلخل المجتمعات تخلخلا يفقدها توازنها ، ثم يحطمها فى النهاية... وقد علمتنا الحرب العالمية الثانية أن نسيان الأنانية بين الشعوب الديمقراطية كان السبب فى كسب النصر ، أو على الأقل كان سببا من أسبابه الجوهرية . كما علمتنا أيضا أن قوة شخصية دعاتها أنما نتجت من قوة بيئاتهم الاجتماعية وحيويتها ، حيث كانت مددا للحضارة العامة فى إبان أتون الحرب الملتهب . مع احتفاظ كل أمة بشخصاتها الدولية . وطابعها القومى . .

* * *

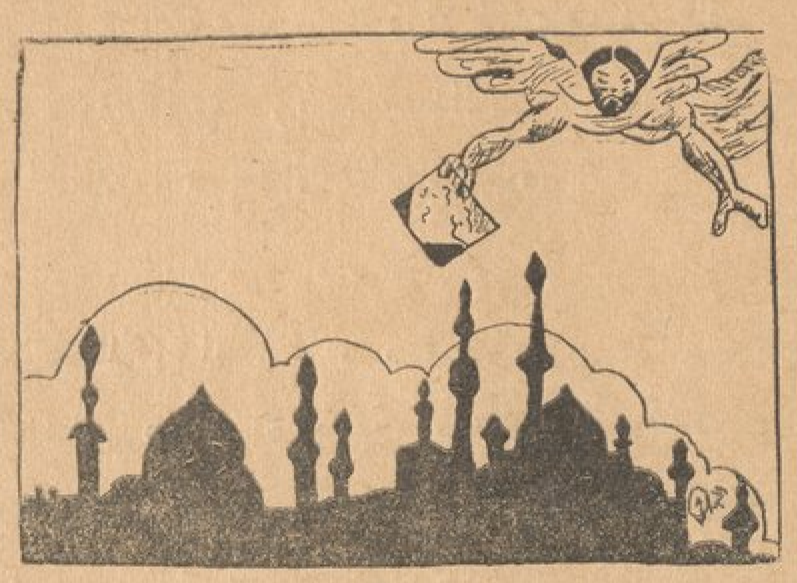
وإذا كان الأصلاح الاجتماعى عبارة عن حرب ضد الانحلال فى جسم الأمة كان فى أشد الاحتياج إلى نسيان الأنانية ، وإلى تكوين الشخصية وتقويتها . وإلى الاحتفاظ بالطابع القومى . . . فما علينا بعد هذا الا أن نبذر البذور الطيبة فى تربة الأصلاح على شرط ألا يكون هذا البذر فكرة من غير عمل . ولا عملا بدون فكرة ، وأنما يكون فكرة وعملا فى آن واحد ، وبهذا تتحقق العدالة الاجتماعية فى جميع

أقطار العروبة بمعناها الأسمى... ، اذ أننا مع الأسف كلما بحثنا عن هذه العدالة فى بيئاتنا ومجتمعاتنا لا نجدها إلا شاردة أو مطعونة بالسهام ، يحيط بجسمها الشوك ، ويعصب رأسها الحداد ، ويملأ فمها المر والحنظل ،.. بعد أن كانت أبان عصرنا الذهبى محاطا جسمها بالسوسن ، مرصعا فمها باللؤلؤ ،... مكللا رأسها بالجوهر ،... !



العرب كعضو هام فى العالم الاسلامى
وكيف يؤدون رسالة الأسلام الخالدة
لخير الانسانية . . . ؟

***



رسالة السماء ألى الارض

***

العرب والعالم الاسلامى

العرب هم الطليعة فى كتائب الأسلام اليوم، حيث ترمقهم مجموعة الأمم الأسلامية فى أنحاء الأرض بالأمل والاحترام . . . وهذه المجموعة من الأمم تمتد من المحيط الأطلنطى فى شمال أفريقيا ألى

الباكستان والصين فى أحشاء آسـيا ، وقد خضعت فى أكثر حقب التاريخ ألى مصائر متشابهة، رفعة وانحداراً ، قوة وضعفا ... ومائة مليون من هذه المجموعة بينهم علاقة اللغة العربية للجميع ، والدين الأسلامى للكثرة الكبرى من أهل شمال أفريقيا وليبيا ومصر ، وسائر بلاد الجامعة العربية ، وتجمع علاقة الدين الأسلامى بين هذه الملايين المائة، وبين أهالى أيران وأفغانستان وأندونوسيا والباكستان والبلاد المجاورة لها من التبت والصين ، وفى أفريقيا مجموعة منها أيضا بينها روابط جغرافية وأخرى دينية تجمع بين شرق أفريقيا بما فيه مصر والسودان والحبشة والشرق الأفريقى القريب من خط الأستواء . وهذه المجموعة من الناس جماعات حية لها كيانها الأنسانى الخاص ،

* * *

وأذا كان للأمم أيام تمر عليها لتجدد وجودها أن كان بها بقية من حياة ، أو ليقضى عليها أن كانت قد استنفذت تلك البقية ، فالمسلمون اليوم «والحمد لله» تمر بهم هذه الأيام وفيهم هذه البقية . . . فليعتصروا شعورا قويا ، وفهما صحيحا . وعقيدة نقية . وعملا صالحا ، وليشيدوا « جامعتهم الأسلامية » بعد أن خابت آمالهم « فى مؤتمر الخلافة » و « فى مؤتمر سيفر » . . . أنهم اليوم أربعمائة مليون من الأنفس تقريبا، فيجب أن يكون الأسلام فيهم أربعمائة مليون قوة تتركز فى جامعتهم ، فما المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ألا جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى... وفى وحدتهم وبيدهم كتابهم يطبقون نصوصه خير لهم ولغيرهم من الأمم ،

أسباب تأخر المسلمين

ليأخذ المسلمون دائماً من الماضي درساً للحاضر والمستقبل ، وليعلموا أن هذه الوقفات التي وقفوها مرتدين إلى الوراء . سببها البعد عن مبادىء الأسلام وتعاليمه . ولم يظهر هذا البعد في صدره الأول لغلبة روح الدين ، وتجليها في أطار من النور ، وأن كانت الفتنة بدأت تطل بوجهها منذ عهد الخليفة الثالث . عثمان بن عفان - حيث دخلت العصبية في الحكم ، وصارت أسرته عفا الله عنه هي كل شيء ، والمسيطرة على كل الشئون في حين أن الأسلام يحتم الانتفاع بذوي الكفاءات من غير ذي القربى ويحذر من العصبية . . . ولن نتهم عثمان رضي الله عنه في أيمانه ، وأنما نقول : أنه اجتهد في الرأي وأحسن الظن بذوي قرباه فلم يكونوا عند حسن ظنه . وكانت الفتنة . وكان أرهاق الرعية بدليل أنه ولى أخاه من الرضاع « عبدالله بن سعد بن أبي السرح » حكم مصر فلما زادت جبايتها على ما كانت عليه في عهد عمرو بن العاص . قال لعمرو « أن اللقاح بعدك درت !! فأجابه عمرو في تهكم « لأنكم أعجفتم الفصلان . . . ! » - ثم نمت هذه العصبية وتلونت ، فكانت بين الأمويين والعلويين ، ثم بين الأمويين والعباسيين ، ثم بين العباسيين والموالي حيث ظهرت « الشعوبية » وغيرها من المذاهب الدخيلة على الأسلام ، مع أن الأسلام كما قلنا ناهضها وحاربها ، ولكن المسلمين حادوا عن صراطه فاستفحلت شيئاً فشيئاً حتى أحكمت قواهم ، وأسلمتهم المرة بعد المرة إلى التأخر والانحلال . . . . ومن أسباب التأخر أيضاً بدعة وراثة الحكم ، ثم تحوله الى أوتوقراطية ، وعهود أقطاع ، مع

أن أساس الحكم فى الأسلام هو « الشورى والانتخاب » بدليل ماحدث يوم « السقيفة » حيث انتخب المسلمون « أبا بكر » خليفة عليهم - وبدليل امتناع عمر بن الخطاب من أن يرثه ابنه فى الحكم حيث قال : « يكفى من آل الخطاب واحد » . . . ثم أن الاسلام قيد الأمر بطاعة الله ورسوله ، وأعطى الرعية حق خلع الحاكم أن حاد عن الجادة . حتى أن الخليفة الأول قال لما تم له الأمر من خطبة له : أطيعونى ماأطعت الله ورسوله فأن عصيت فلا طاعة لى عليكم - وقال الخليفة الثانى أيضا من خطبة له . وأذا رأيتم فى اعوجاجا فقوموه ، فلما قال رجل من الحاضرين - : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسوفنا - حمد الله وأثنى عليه ، وبهذا سقطت تهمة المستشرق « أجناس جولد » - الذى اتهم الاسلام بأنه وضع السلطة المطلقة فى يد الحاكم بلا رقيب ولا حسيب ....

* * *

ومن أسباب التأخر أيضا دخول المذاهب الهدامة على مبادىء الدين وتعاليمه ، وفى طليعتها « مذهب الجبرية » الذى أدخله الفرس على عهد العباسيين . لغاية سيئة هى أيهام الناس أن الملوك مجبورون على تولى الملك وأنه قدر من الله جرى عليهم ، وبهذا أدخلوا الكهنوتية الدينية فى الأسلام ، فصار الخليفة يدعى أنه ظل الله فى الأرض ، وأنه يستمد سلطانه من الله كما يزعم « البابا » تماما ، ثم انتقلت فكرة الجبرية إلى الخاصة والعامة ، وبهذا صاروا فى واد . والاسلام فى واد ،

إذ حدث مع الأسف أن شوهت هذه الفكرة حقيقة الاسلام فاتهمه مخالفوه بالتواكل والكسل وعلى رأسهم الكاتب الأمريكى واشنجتون أيرفنج، حيث يقول :-

« أن تعاليم الأسلام ومبادئه تقوم على فكرة »

« الجبرية . . . وهذه الفكرة فيها دعوة »

« صريحة إلى التواكل وعدم السعى فى الحياة »

مع أن الاسلام برىء منها ، فهذا رسوله الأعظم . وهو مزود بالوحى ما كان يترك أمر تدبير شئونه . وشئون أمته ، بل كان يفكر ويدبر ويشير ويستشير ... أسر دعوته حين كان السر واجبا ومجديا ، وجهر بها حين الجهر بها لازما ومثمرا ، . وسالم حين كان السلم أنفع ، وحارب حين كانت الحرب أصلح ، ثم هاهو ذا قرآنه ينوه بمكانة العقل، ويحث على العمل ،..ومن أسباب التأخر أيضا اسفه الحكام فى البذل . فلهذا ألف ألف ولذاك مائة ألف . وكذا أنغماسهم فى الترف مصمين آذانهم عن قول الله - : « وأذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ».مع أن الأسلام يحذر من متاع الدنيا ويشدد فى مسئولية الحاكم عما تحت يده . . . ثم أن المسلمين بعد هذا كله خلطوا بين العلم والحكمة . وبين الفلسفة والدين. وبين منهج القرآن ومنهج اليونان ، فحولوا وعلى رأسهم « المعتزلة » الدين من القلب ألى العقل . وألفوا العقائد فى شكل قضايا منطقية . فتحجر الدين . وانقلب جسما جامدا لاروح فيه . فخمدت حرارته . وضعفت شعلته . وقل نوره وضياؤه ، فلم يسر فى النفوس سريان

النور فى الظلماء كما كان من قبل ، وانقلب أعجميا... وبخاصة منذ اصطنع الحكام الأعاجم - وذلك لأن رؤساء الجند كما يقول الأمام الشيخ محمد عبده -: تغلبوا على الخلفاء . واستبدوا بالسلطان، ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الأسلام، والقلب الذى هذبه الدين... لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شىء ألى وجدانهم ؛ وكثير منهم كان يحمل إلهه معه يعبده فى خلوته ، ويصلى مع الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتتار ، فمالوا على العلم وصديقه الأسلام ، أما العلم فلم يحفلوا به وقبضوا عنه يد المعونة وحملوا كثيرا منهم على أن ينتظموا فى سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله، ليغدوا من قبيله - ثم يضعوا للعامة فى الدين ما يبغض اليهم العلم ، ويبعد بنفوسهم عن طلبه، وقد دخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وأدخلوا عليهم ما كانوا فيه من مخفخة الوثنية والطقوس الكهنوتية حتى أصبح الأسلام ارتكازا على أوراد تقرأ وأحزاب ترتل، وصار مظاهر مرضى فى دنيا أفعمت بالصحة ، ومظاهر فقر فى دنيا ملئت بالعافية، ومظاهر جهل فى دنيا اكتظت بالعلم وغدا جمودا فى عصر أهتزت فيه الأرض . وزالت كل السدود والقيود... فاذا لم يعد المسلمون إلى هدى دينهم الحنيف . ذلك الهدى الالهى الجامع بين السعادتين - سعادة الدنيا وسعادة الآخرة تحقق فيهم قول الرسول عليه السلام -:

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى »
« الأكلة على قصعتها . قال قائل - : أو من قلة »
« نحن يومئذ يارسول الله ؟ - قال : لا . »
« ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من »

« قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله فى »
« صدوركم الوهن . قالوا : وما الوهن يارسول »
« الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت »

* * *

حقيقة الأسلام

أن حقيقة الأسلام العليا لاتتجلى فى تلك المظاهر الدخيلة عليه . والتى سببت تأخره . واتخذت سلاحاضده ... وانما تتجلى فيماشرعه الله ورسوله وتضمنه كتابه - وهذا يستوجب أظهار مكانة صاحب الرسالة المحمدية بين الرسالات - ومنزلة كتابه الكريم بين كتب الله المنزلة - ثم أفاضة القول بعد ذلك فى بيان الأسلام الصحيح ورسالته الخالدة أفاضة فيها كل ارتكاز لكل مايحاول الرقى البشرى أن يبلغه ديناودنيا ، عسى أن يكون فيه بلاغ للناس ، وأن تجد فيه راحتها وسعادتها هذه الأنسانية المعذبة التى أحاطتها هذه الحضارة المادية بسور ظاهره فيه الرحمة ، وباطنه العذاب والدمار .

* * *

محمد المبشر به

يخبر الله جل شأنه أنه سبحانه أخذ العهود والمواثيق على النبيين فى عالم الذر أذا جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ، وأنهم أقروا بذلك فأشهدهم على أنفسهم . وشهد سبحانه معهم ... وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد بن عبد الله النبى العربى الأمى الذى بشرت به التورات أذ تقول - :

« ويأتى حمـــدون كل الأمم »

اى محمود كل الأمم . وهو محمد عليه الســـلام ، وبشر به الأنجيل إذ يقول - :

« وعد أهل الكتاب بمجىء ثلاثة - المسيح - وهو »

« عيسى . وأيلياء وهو يحيى . والنبىء وهو محمد »

ويقول أيضا - :

« خير لى أن أنطلق . لأنه أن لم أنطلق »

« لا يأتيكم الفار قليط وتعريبها - محمد - »

وهذا مصداق قول القرآن - :

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه »

« مكتوبا عندهم فى التوراة والأنجيل »

* * *

القرآن الكريم

وأما كتاب الأسلام فهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والذى يقول فيه الرسول الأعظم من حديث شريف - :

« كتاب الله . فيه نبأ من قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم »

« ما بينكم . هو الفصل . ليس بالهزل . من تركه من جبار »

« قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو »

« حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط »

« المستقيم . وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به »

« الألسنة ولا تشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، »
« ولا تنقضى عجائبه . وهو الذى لم تنته الجن أذ سمعته حتى »
« قالوا - : أنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد . فآمنا به . . »
« من قال به صدق . . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، »
« ومن دعا أليه هدى الى صراط مستقيم . . . »

- وقد ترجم هذا القرآن - ١٢٠ - ترجمة فى - ٣٥ - لغة ، مابين شرقية وغربية . وتكررت طبعات بعض هذه الترجمات ، حتى أن ترجمة العالم الانجليزى « جورج سل » طبعت - ٢٤ - مرة - ولن يتسع هذا البحث لتحليل هذه الترجمات ، وبيان مقدرة اللغات التى ترجم أليها . . كالانجليزية ، والفرنسية ، والأيطالية ، واللاتينية ، والعبرية ، والفارسية . والتركية ، والصينية ، والأفغانية ، والجاوية ، والأردية ، وسواها على الأحاطة بما حوته دفتاه ، كما لا يتسع لأثارة مسألة الترجمة . هل تكون لحروفه أو لتفسيره فقد وفاها حقها من البحث والدراسة أفاضل العلماء والباحثين ، وإنما نحن بصدد . بيان حقيقة الاسلام . ورسالته الأنسانية الخالدة . ووجوب تبليغها للعالم كافة عملا بقول الله - .

« أن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد »
« ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم »
« اللاعنون . ألا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا . فأولئك »
« أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم . . . »

* * *

وأما الاسلام فهو اسم مشترك وضعه الله على لسان أكثر الأنبياء والمرسلين - وضعه على لسان أبراهيم إذ يقول - :

« أذ قال له ربه أسلم . قال : أسلمت لرب العالمين »

ووضعه على لسان يعقوب - أذ يقول - :

« أذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا - . نعبد ألهك »

« وآله آبائك أبراهيم وأسمعيل وأسحق الهاواحدا ، ونحن »

« له مسلمون . . . »

ووضعه لما فى التوراة والمنفذين لأحكامها من أنبياء بنى أسرائيل أذ يقول - :

« أنا أنزلنا التوراةفيها هدى ونور يحكم بهاالنبيون الذين أسلموا »

ووضعه لكل ماشرعه ووصى به أنبياءه ورسله - أذ يقول - :

« شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا . والذى أوحينا أليك »

« وماوصينا به أبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين »

ثم وضح هذاالدين قائلا - :

« أن الدين عند الله الأسلام »

وشرح حقيقة الأسلام بأنه تسليم الوجه لله والأحسان فى القول والعمل قائلا - :

« ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن »

وقد تميز على كل الأديان بعمومه وشموله ، ومرونة تشريعه وأحكامه ، وجعله الدين للدنيا كالروح للجسد فوصل كلا بصاحبه ،

وهذا بفضل أشراقه الإلهى الذى كشف لرسوله الأعظم عن أطوار النفس البشرية . فشرع لها ماهو نور وحكمة ، بعد أن غشيها ظلام الطغيان وبلبلها تعسف الظالمين ، وأحاطت بها مادية مهلكة - مادية دولتين متناحرتين تتنازعان العالم - هما دولة الفرس ودولة الروم - وبعد أن غمرها ماغمرها من أخذ بالثأر ، وشرب للخمر واستباحة للعروض ووأد للبنات ، فكان الأسلام هو الحبل الممدود من عالم ماوراء الطبيعة ليخرج هذه الأنسانية المعذبة مما هى فيه من شقاء مهلك ، ألى نعيم دائم ، بفضل وصلها بالملأ الأعلى ، والتوفيق بين ماتفرضه الحياة من مادية عادلة ، وروحانية سامية ، متمشيا مع التطور الذى بلغته البشرية قال « الدوس هكسلى الفيلسوف الأنجليزى » - :

« أن الأديان جميعها تهدف إلى تحقيق الرحمة »
« والأيثار ، ولكنها تختلف فى المناهج والمبادىء »
« طبقا لسنة التطور البشرى . . والأسلام جاء »
« بعد أن تطورت البشرية ، وبلغت رشدها ، »
« ولذا كان دينا عاما ، ورحمة للناس كافة . »

* * *

تطهير العقيدة

وللأسلام وجهات سامية يقصدها بدعوته - كتطهير عقيدة الأنسانية ، ولهذا . وضع نصب عين المؤمن ألا يشرك مع الله غيره فى عبادته - وفى بذله وعطائه ، وفى تضحيته وجهاده . . فى حديث مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« أول من يدعى به يوم القيامة .رجل جمع القرآن . ورجل »
« قتل فى سبيل الله . ورجل كثير المال . فيقول الله تعالى »
« للقارىء . . : ـ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى ؟ فيقول »
« بلى يارب . فيقول ـ : فما عملت فيما علمت ؟ فيقول : كنت »
« أقوم به آناء الليل . وآناء النهار . فيقول الله تعالى له : »
« كذبت . وتقول له الملائكة : ـ كذبت . ويقول الله »
« تعالى له : بل أردت أن يقال فلان قارىء . وقد قيل »
« ذلك ـ ويؤتى بصاحب المال . فيقول الله تعالى له ـ : ألم »
« أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج ألى أحد ؟ فيقول : بلى »
« يارب . فيقول فماذا عملت فيما آتيتك ؟ فيقول : كنت »
« أصل الرحم وأتصدق ، فيقول الله تعالى له ؟ كذبت . »
« وتقول الملائكة : كذبت . ويقول الله تعالى : بل أردت »
« أن يقال : فلان جواد . وقد قيل ذلك . ثم يؤتى بالذى »
« قتل فى سبيل الله. فيقول الله تعالى : فيماذا قتلت ؟ ـ فيقول :»
« أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله »
« تعالى : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت : ويقول »
« الله تعالى : بل أردت أن يقال فلان جرىء . وقد قيل »
« ذلك ...ثم ضرب رسول الله على ركبة أبى هريرة . فقال :»
« يا أبا هريرة : أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم »
« القيامة قال راوى الحديث ، شفى الأصبحى ، فأخبرت »
« معاوية ...بهذا الحديث فقال: قد فعل بهؤلاء هذا. فكيف »

« بمن بقى من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظن »
« أنه هالك ، ثم أفاق ومسح عن وجهه . وقال صدق الله »
« ورسوله ... من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف أليهم »
« أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك . الذين ليس لهم »
« فى الآخرة إلا النار . وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا »
« يعملون . »

واعظم عناية الأسلام بتطهير العقيدة ربط الأنسان بخالقه مباشرة بلا وساطة ولا شفاعة ، أذ يقول جل شأنه فى محكم كتابه ـ « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » ـ إذ ما عبد القدماء الأصنام والتماثيل ألا عن طريق اتخاذ الأفراد شفعاء لهم بعد تقديسهم . . . روى البخارى عن طريق ابن عباس « أن هذه الأسماء التى وردت فى قول الله تعالى ـ :
« وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا »
« ولا يغوث ويعوق ونسرا . . . كانت لرجال صالحين من »
« قوم نوح ماتوا . فأوحى الشيطان ألى الناس أن انصبوا »
« فى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا ، وسموها بأسمائهم »
« ففعلوا . ولكن لم يعبدوها : فلما هلك الذين أقاموها ودرس »
العلم عبدها الناس » . . . . وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أنه علم بقوم يصلون تحت شجرة البيعة تبركا بها فأمر بقطعها ، . . . وهل بعد أن وساطة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب لم تغن عنه شيئا وأنما أيمانه وعمله هما اللذان كانا يغنيان عنه . . . فسلم الأمر لربه حين خاطبه فى شأنه قائلا : ـ

« أنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »

على أن الرسول الأعظم قد سد هذا الباب الذى تدخل منه الفتنة . ويترتب عليه التفريق فى الدين . وذيوع الأهواء الفتاكة بجوهر العقيدة . وذلك بقوله لابنته فاطمة رضى الله عنها :

« أعملى يافاطمة فأنى لا أغنى عنك من الله شيئا »

فاذا كان قد جد فى المسلمين من يقدس فردا أو يقدس مكانا على اعتبار أن لمن يقدسه يدا فعالة فى العطاء أو الحرمان فما ذلك إلا من البدع التى دخلت على الأسلام بطريق العدوى من الطقوس المسيحية التى وصلت برجال الكنيسة قديما إلى الوساطة فى العفو عن المذنبين ، ودخولهم الجنة . وبيع صكوك الغفران لهم ، والتى من أجل القضاء عليها قام « لوثر » بثورته ـ وما كان المسلمين أن يتأثروا بذلك ـ خاصة وصاحب الرسالة نفسه يقول له رب العزة ـ :

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا ألا ماشاء الله . »

« ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما »

« مسنى السوء أن أنا ألا نذير وبشير لقوم يؤمنون »

أما الاتصال بالأولياء الذين على قدم الرسول ﷺ ، والذين جاهدوا أنفسهم بالذكر والعبادة حتى صفت أرواحهم ، فأنه يكسب روح المتصل مددا إلهيا ينشلها من وهدات المادة ... على أن هؤلاء الأولياء الواصلين يتبرؤون من حولهم وقوتهم ، ويحاولون أخفاء كراماتهم التى يظهرها الله على أيديهم قهرا عنهم أكراما منه سبحانه وتعالى لهم ، خاصة بعد انتقالهم إلى العالم الثانى . أذ الروح هى الجوهر العميق

الذى لا ينفعل للعناصر الأرضية - تكون مطلقة ، وبخاصة إذا كانت روح ولى أو شهيد - والموت فى الواقع ليس فناء واضمحلالا وإنما هو انتقال إلى عالم آخر يلذ للمرء أن يتصل به عن طريق مجاهدة النفس لحظات وهو حى ، ولقد أثبت علم استحضار الأرواح وجود هذا العالم الثانى حتى آمن به كثير من فلاسفة الغرب مثل «كيسرنج الألمانى» وولز الأنجليزى وغيرهم .

* * *

العبادات وحكمتها

واتجه الأسلام أيضا - فيما سنه من عبادات - إلى ما يعود من آثارها النافعة على الروح والجسم معا ، ففى الوضوء والغسل طهارة وصحة ونظافة ، وفى الصلاة أنكار للمعانى الذاتية الفانية التى هى مادة الشر فى الأرض فتستقر الروح لحظات فى حيز الخير المحض البعيد عن الدنيا وشهواتها . وحدودها المادية ، سابحة فى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده . . . وفى الصوم فقراً جبارى . يشعر المسلم أن الحياة الصحيحة وراء الحياة لا فيها . حين يتساوى الناس فى الشعور بألم الجوع . ويدركون أن نكبة الأنسانية من البطن . فيسدوا عليها كل مساربها فلا تتغذى . ولا يصل أليها شىء حتى الدخينة . ثم يطلق فيها صوت الروح بعلم الرحمة . ويدعو ألى العطف والبر والأحسان ألى الفقير والمسكين ، ثم يكرر الصوم ثلاثين يوماً يسدل الستار فيها على تاريخ البطن . ويرفع عن تاريخ الروح ، ثم هو فوق ذلك شهر صحى يفرضه الطب كل سنة للراحة والاستجمام وتغيير المعيشة . بشرط أن يكون كصوم رسول الله ﷺ

وأصحابه ثمرات تقيم الأود ، أو مايقوم مقام الثمرات وبذا تقوى الارادة والعزيمة وتظهر أسرار الروح ، ... وفى الحج قوة الوحدة وتساند القوى ، وتساوى الصغير بالكبير ، فيفقد الكبرياء روحه . ويجد التواضع نفسه . وتستشعر النفس المجتمعة فى أنسانية عامة .روح الأخاء والتعاون وتبادل الرأى والمنافع ، كما تتلقى فيوضات الله فى تلك الأماكن المقدسة ـ وهكذا كل ماسن من عباده . وما شرع من فريضة وسنة ...

* * *

المسئولية والجزاء

وكذلك اتجه الأسلام بالانسان وجهة الكمال فوضعه موضع التكريم ، حيث لم يجعل وجوده عبثا ، ولا عمله عبثا ، بل جعلهما لعمار الكون ، وتحقيق خلافة الله فى الأرض على يديه ، ثم لأعداده لحياة دائمة فى دار بعد هذه الدار ... ولهذا وضع « مبدأ المسئولية » فقال : « مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وجعل خشية الله قانون وجوده على الأرض ، فن أى عطفيه التفت وجد ملكين يكتبان أعماله بخيرها وشرها محكمة ملائكية لا تفارقه ... وبهذا الشعور الوجدانى من خوف المراقبة تتضاءل تلك النواميس الحيوانية المجنونة فيه فيتغلب قانون التراحم والاخاء وحب الخير والتفانى فى المصلحة العامة على قانون التنازع الطبيعى . . . ثبت الاسلام كل هذا فى النفس وعواطفها ، فى سرها وجهرها ، فلا يكون الانسان فى نظره فاضلا بمشهده حتى يكون كذلك

بغيبه ، وحتى يكون أقوى من الحاجة . فأن كان فقيرا تعفف ، وأن كان غنيا تصدق ، وأن كان قادراً عفا ... لأنه لا ينظر ألى الأمور بعين بصره . بل بعين بصيرته - ثم أن « مبدأ المسئولية » هذا ، قد وضع الأسلام بجانبه « مبدأ الجزاء » فطبع الأعمال الصالحة بطابع الجنة ، وطبع الأعمال السيئة بطابع جهنم ، فالحساب واقع . والجزاء واقع . قال تعالى - : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . »

« ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره »

وأذاً فلا بد للأنسان من العمل ، طبقا لوظيفته فى الأرض وتطبيقا للأمر الإلهى الكريم - :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة »

« ولا تنس نصيبك من الدنيا »

وتنفيذا للأمر النبوى الكريم - :

« اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا . »

« واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

* * *

التصوف الأسلامى

واتجه الأسلام أيضا ألى عدم الاغترار بالدنيا ، والافتتان بزخارفها ، وحث المسلمين على اعتبارها مزرعة للآخرة ، عارضا صورها الفانية فى كتابه العزيز أذ يقول : -

« واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من »

« السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما »

« تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا »

ولقد كان رسول الله ﷺ يزهد فى متاع الدنيا ويتقشف . حتى كلمه عمر فى ذلك لما رأى الحصير قد أثر فى جنبيه . فقال له عليه السلام : مهلا يا عمر . أتظنها كسروية ؟! وكذلك كان الخلفاء الراشدون ومن تابعهم ، . . ثم أقبلت الدنيا ، ودانت الممالك ، ورأى المسلمون لونا من لين الحياة بعد خشونة الصحراء فعاشوا فيه . ونسوا مبدأ الدين الأول من البعد عن ترف الحياة ولهوها ، فقام دعاة للخير يزهدون الناس وعلى رأسهم « الحسن البصرى » الذى أخذ عن الصحابى الجليل « حذيفة بن اليمان » أول من تحدث فى المعانى الوجدانية وأسرار القلوب . فنشأت بعد ذلك علوم التربية والسلوك . ومذاهب التصوف ... والتصوف مشتق من الصفاء . وغايته إدراك الحقائق الربانية . وانبعاث صورة رائعة للذات المقدسة ، يتجلى فيها الكمال المطلق عن طريق الزهد والعبادة ، وهذا الزهد زهد متزن يجمع بين الصفاء والعمل ، عكس روح الرهبانية فى المسيحية كما يقول الدكتور « رينولد - ا - نيكلون » ، وعكس طريق الأشراق الذى هو تجريد النفس من الشواغل التى تقطعها عن الروحانيات بطرق قد لا تتصل بالعبادات كما يقول « أرسطو » ، إذ يدخل فيها السحرة والمشعوذون والمتصلون بالجن وغيرهم من الأرواح ... وقد قام التصوف على قواعد تتلخص فى الجوع . والعزلة ، والصمت والذكر ، مع قلة النوم ، ومعرفة أسرار الشريعة ، وصحبة عارف بالله .. كما قام جهاد النفس فيه على مراحل

يقطعها المريد، وهذه المراحل تسمى «مقامات» كمقام الخوف. ومقام الرضى. ومقام الحب. ومقام الصبر. ومقام الانس، ولكل مقام من هذه المقامات شعور خاص يستولى على المريد، وهذا الشعور يسمى عندهم بالأحوال. ولا بد للمريد من أن يستوعب كل مرحلة من هذه المراحل. ويؤقلم نفسه بها لتستولى عليه الحالة الروحية الخاصة بها، إلى أن يصل فى النهاية إلى حالة اتحاد بالعالم وبالله، فيستحق بذلك أن يكون عارفا، تغلب عليه «حال الطمأنينة» التى عناها السيد محي الدين بن العربى بقوله — : متمشيا مع مذهبه فى وحدة الوجود — :

لقد صار قلبى قابلا كل صورة * فرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف * وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت * كتائبه . فالحب دينى وإيمانى

ويقرر هذا ويثبته الرئيس ابن سينا — فى كتاب الأشارات — حيث يقول — :

«أن أثر المجاهدة النفسية فى الوصول إلى مايسمى فى»
«طريق القوم «بالمقامات» و «الحالات» — وإلى»
«ما يحدث من الأذواق والوجدانات والكرامات»
«والأخبار بالمغيبات . والتصرف فى الكائنات صحيح»

ثم فند رأى أبى أسحق الأسفرايينى فى أنكار ذلك، وقرر أن اللغات لاتعطى الدلالات الوافية على الحقائق العلمية التى تفيض بها وجداناتهم — إذ أن الصوفية أرسخ قدما فى بحر المعرفة من الفلاسفة، فهم يرون الطبيعة كتابا مفتوحا من الله، كتابا خطه القلم الإلهى، فيفهمه الواصل ويقرأه من غير حاجة ألى لغة ولا ألفاظ، وقد اعترف

الفلاسفة أنفسهم بذلك منذ قهر التصوف صنم الفلسفة الجبار واغتصب منه مكانته فى « نظرية المعرفة » ، حتى قرر الفيلسوف « كارادى فو » أن فوق العقل أنواعا من المعارف يدفع أليها التنسك والعبادة والرياضة الروحية ... وهذا الغزالى العالم الفيلسوف وقف به التفكير المنطق مواقف الشك والحيرة فلما انتقل من الفلسفة إلى التصوف قذف الله النور فى صدره وفتح له كنوز المعانى، وهذا الأمام الشيخ محمد عبده يقول :-

« أن الفضل فى تكوين ذوقى العلمى والعرفانى يرجع »
« للتصوف الذى لازمتنى بركته طول حياتى » .. ويقول الباحث النابه
« المستر أدوارد روس » فى كتابه « فلسفة الأديان » - : « إن فى »
« ظهور الفرق الصوفية فى الأسلام لشهادة على وجود الاتصال بكون »
« أوثق . وبإله حى يفيض الحب والنور والجمال .... »

والصوفيون الحقيقيون بفضل سبحات أرواحهم فى الملكوت الأعلى فى نعيم غير منظور حتى قال قائلهم :-

« نحن فى لذة لو علم بها الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف »

وبمثل هذه الروح عاش المتصوفون الحقيقيون . فكان لهم فى الدين مرتبة التحقيق ، وفى العلم مرتبة اليقين . وفى الأخلاق مرتبة التفلسف ، وفى الأصلاح والأرشاد مرتبة الهداية ، وفى السياسة مرتبة الصيانة ، كما حدث من رجال الطريقة النقشبندية فى مقاومة الاستبداد الروسى فى البلدان التى يبسط فيها سلطانه على المسلمين .. فأذا كان قد جد فى المسلمين قوم يدعون التصوف على غير الرسوم السابقة فهم كالمبتدعة الذين أسلفنا الكلام عليهم . وهؤلاء المتصوفة المبتدعون هم متصوفة

رسوم وأرزاق، اتخذوا من الخيال اليوناني الذى أسبغ أرديته على التصوف في فترات ضعف الأسلام ألواناً وصوراً. كما اتخذوا مما أضفته الاقاصيص الأسرائيلية ونزعات الرهبان والهنود أثواباً ثم أضافوا اليها خرافات وأضاليل، من نقر على الدفوف. ودق على الطبول، ورقص على نغمات الشادين.

* * *

لقد كان التصوف الحق قبل أن يدخل عليه مادخل من هذه الأباطيل. هو المكان الصحيح للزهاد والمصلحين وأصحاب الدعوات عندما كانت الجماعات الأسلامية معرضة للخطر حيث كانوا يعدون أنفسهم -عن طريقه- على مسلك المجتمع خوفاً من أن تهوى به الأهواء، مرتفعين عن صغائر الدنيا. وسفاسف المادة، مجاهدين أنفسهم رابئين بها وبمريديهم وأتباعهم عن مدارج الحياة وفيهم يقول أصحاب «رسائل اخوان الصفا» -.

« الصوفية الحقيقيون، هم أسمى الناس. فليس يذكر في «
«مجلسهم إلا الله.. وهم أولو الألباب الذين يقول الله في شأنهم «
« مخاطباً أبليس - : «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان».»
« والذين يقول فيهم الرسول عليه السلام، لأبي هريرة - : «
« عليك ياأبا هريرة بطريق أقوام إذا فزع الناس لم يفزعوا «
« وإذا طلب الناس الأمان من النار لم يخافوا. قال: - «
« من هم يارسول الله؟ صفهم لى حتى أعرفهم. قال - : قوم «
« من أمتي في آخر الزمان يحشرون يوم القيامة محشر «

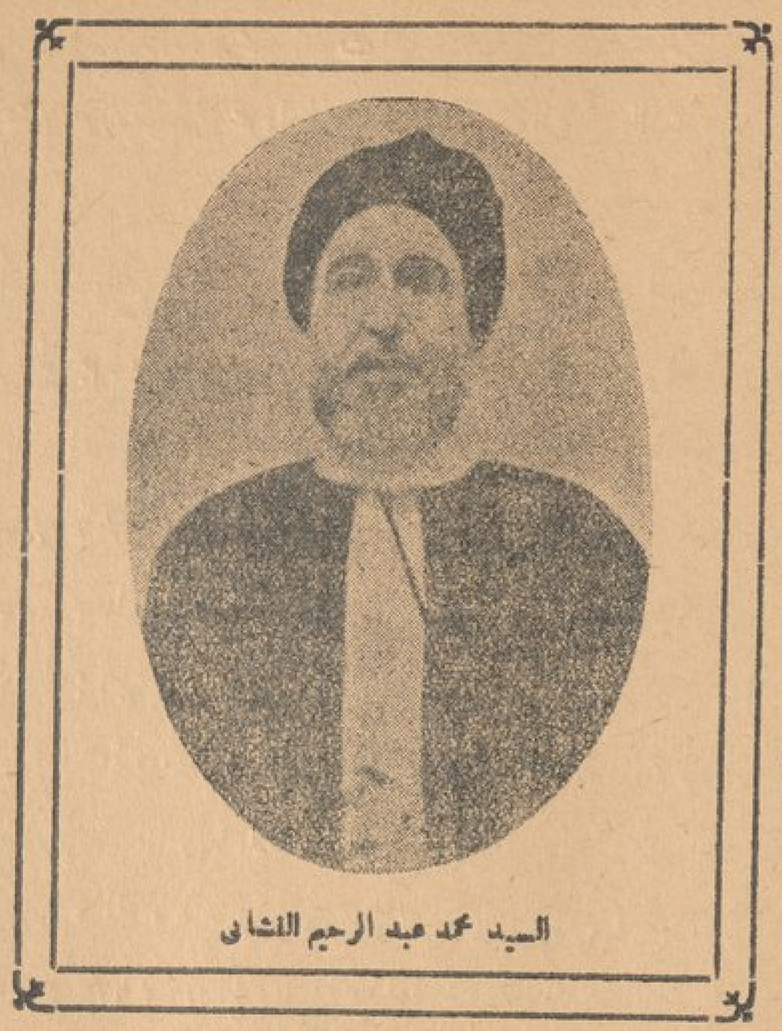
« الأنبياء . أذا نظر اليهم الخلائق ظنوهم أنبياء حتى أعرفهم »
« بسيماهم فأقول : أمتى . أمتى . ليعرف الخلائق أنهم ليسوا »
« بأنبياء . ويمرون مثل البرق والريح . يغشى أبصار الجميع »
« نورهم . قال أبو هريرة : قلت ـ : يارسول الله . مرنى »
« بمثل عملهم لعلى ألحق بهم . فقال الرسول : يا أبا هريرة . »
« أن القوم ارتكبوا طريقا صعبا . لحقوا به بدرجة »
« الأنبياء . آثروا الجوع بعد ما أشبعهم الله . والعرى بعد »
« ما كساهم الله . تركوا ذلك رجاء ماعندالله ،تركوا الحلال »
« مخافة حسابه . صحبوا الدنيا بأبدانهم من غير أن تعلق »
« بشىء فيها قلوبهم . تعجب الأنبياء والملائكة من طاعتهم »
« لربهم . فطوبى لهم . وددت لو أن الله جمع بينى وبينهم . »
« ثم بكى رسول الله شوقا إلى رؤيتهم . »

* * *

وهؤلاء المتصوفة الذين على قـــدم أهل الحق العارفين بالله هم الذين ينطبق عليهم قول القائل ـ :

ليس من نوه بالوصل له	كالذى سيريه حتى وصل
لا ولا الواصل عندى كالذى	طرق الباب وللدار دخل
لا ولا الداخل عندى كالذى	أجلسوه عندهم فى المستهل
لا ولا من أجلسوه كالذى	ساوروه فغدا السر محـل
لا ولا من ساوروه كالذى	صار أياهم فدع عنك الجدل
ذاك شىء علق القلب به	ماتبدى بعضه إلا قتـل

وعلى رأس هؤلاء الصوفية الذين اتصلت بهم فى صدر حياتى ، وشاهدت كأن نورا من الملأ الأعلى يسعى بين أيديهم كلما سعوا ـ العارف بالله « السيد محمـــد عبد الرحيم النشابى » أبو المعارف



السيد محمد عبد الرحيم النشابى

فقد كان يغترف من بحرين « بحر الشريعة وبحر الحقيقة » وكان يعلم بالنظر ، ويرشد بالمدد ، ثم يهبط على مريديه بروح الغيث ، ويخطو بهم فى طرق الملائكة .

* * *

وليست دعوة الأسلام مقصورة على ماسبق بل هى تنتظم الحياة الدنيا وشئونها على أساس العدل الاجتماعى الذى لايتحقق إلا بتشريع حكيم . وحكم عادل ، ومحو ثالوث الألحاد الاجتماعى من الجهل . والمرض . والفقر من محيط المجتمع ألى غير ذلك من الشئون .

* * *

أما التشريع فقد سنه مشرعه الأعظم سبحانه على أساس المصلحة ورفع الحرج . والتمشى مع الزمان والمكان وسنة التطور - ولهذا جعل باب الاجتهاد مفتوحا - بدليل أن رسول الله ﷺ لما أرسل أبا موسى الأشعرى إلى أهل اليمن ليقضى بينهم . قال له : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فأن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فأن لم تجد ؟ قال : أجتهد برأيى ، فأقره الرسول على ماقال . . . ولما ولى أبو بكر الخلافة بعد الرسول ﷺ كان النظام الذى اتبعه « فى الفىء » هو تقسيمه بين الناس ، فلما خلفه عمر اجتهد بعد استشارة أهل الرأى فيما يصنعه « به » فأداه اجتهاده إلى أن يخصص بعضا منه لسد الثغور . والبعض الآخر للذرية والأرامل فى كل بلد من بلاد المسلمين . أما الأرض فتبقى بيد أهلها ، كما اجتهد فى عدم قطع يد السارق حينما اشتدت المجاعة « عام الرمادة » - واجتهد عثمان فى مسألة العفو عن القاتل - وذلك - عندما قتل « عبيدالله بن عمر بن الخطاب » الهرمزان - وجفينة . . وابنته - بعد أن قتل أبو لؤلؤة المجوسى أباه عمر ، وقدم عبيد الله للمحاكمة . فقال الناس : أيقتل عمر بالأمس ، ويقتل ابنه اليوم ؟ !

ووقف عمرو بن العاص خطيبا مدافعا عنه ثم قال : حدث هذا ياأمير المؤمنين وليس الأمر فى يدك . فعفا عثمان عن « عبيد الله » ودفع الدية عن الجارية والرجلين من ماله الخاص لأهل القتلى . وكان هذا اجتهادا منه ـ ثم أن لولى الأمر أن يحدث أقضية بقدر مايحدث من المشكلات إذا كان فى ذلك مصلحة ... ولاعتبار تغير الزمان والمكان وتطور البيئات واختلافها وضع الأمام الشافعى مذهبين . مذهبا بالحجاز يتفق مع بيئته ، ومذهبا بمصر يتفق مع بيئة مصر ... ولما كانت الشريعة الأسلامية شريعة حية فياضة . فقد جعلت من مبادئها « أن تدرأ الحدود بالشبهات » قبل أن يعتبر المتحضرون « القانون فى صالح المتهم » بأمد بعيد . وحظرت الخمر قبل أن يحظرها الأمريكان بأمد بعيد ، وحرمت الزنا قبل أن يضج منه الأنجليز بأمد بعيد ، ووضعت من القوانين العامة فى الجنايات والمعاملات . ونظام الأسرة من زواج وطلاق وميراث ماوسعته الأحاطة والتنظيم ، حتى أخذ بها كثير من الأمم ، وقد روعى فى هذا التشريع التقليل من التقنين حتى يقتصر فى كل عصر على تشريع مااقتضته حاجاته ، ولا يجد اللاحقون فى تشريع السابقين من العقبات مايحول دون مايقتضيه التطور الجديد ... وللقيمة العليا لهـذا التشريع أقره العلماء الأوروبيون وعلى رأسهم المستشرق الأنجليزى « سيمون أوكلى » وقال فيه العلامة « أدوارد لامبير » فى كتابه تاريخ القانون المقارن » :

« أن التشريع الأسلامى من أفضل التشريعات »

« ويرجع الفضل فى ذلك إلى تعدد مصادره . »

« واتساع مراجعه . وأتقان أدواته ... »

كما قرر « مؤتمر القانون الدولى المقارن » صلاحيته للزمان والمكان وسنن التطور .. على أن المسلمين مع الأسف فى كثير من فترات الضعف وقفوا أزاءه جامدين . فاضطر الحكام قديما وحديثا الى أن يقتبسوا كثيرا من قوانيننا ونظمنا من أوروبا اقتباسا أضر بقوميتنا . ومقومات حياتنا . ولهذا أصبح من الواجب على طائفة من مشرعينا أن يعيدوا النظر فى الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء . فأن لم نفعل كان الدين عرضة للنفور منه . والابتعاد عنه خاصة وديننا ليس كالأديان الأخرى التى فصلت الدين عن السياسة والاجتماع ، لأن تلك الأديان اقتصرت على تنظيم العلاقات بين العبد وربه ولم تمس أمور الدنيا . بل إن منها ما دعا إلى الرهبنة والابتعاد عن الدنيا أما الأسلام فقد نظم أمور الدين والدنيا معا . ولذلك فأن هذه الثورة الاجتماعية العظيمة قد مكن لها الأسلام فى جميع العصور بما وضع من المبادىء العامة التى يجب أن تكون سنن الاجتماع فى كل أمة . وفى كل عصر . كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل - ولنا فى حرية الفكر التى أباحها الأسلام . وروح المرونة التى اتصف بها مايمكننا من مواجهة المدنية الحديثة . وما أحدثت فى العالم من مبادىء ومخترعات وصناعات ومعاملات ، ونظم الحكم . ومذاهب اجتماعية - بما يتفق ومبادىء الأسلام وأصوله ... وتاريخ الاجتماع الأنسانى . والحضارات الأسلامية المتنوعة أصدق شاهد على مانقول . . فلقد بلغت الدولة

الأسلامية فى عصرها الذهبي مبلغا عظيما من السعة والحضارة ووفرة العمران، وسمت إلى ذروة المجد فى الغنى والقوة والعلم وكل مظاهر العزة والسلطان. حيث انتظمت فى ذلك العهد دويلات متعددة فى آسيا وأفريقيا وحيث امتدت رقعتها من بلاد الصين شرقا ألى بلاد أسبانيا غربا وكان البحر الأبيض المتوسط بحيرة عربية أسلامية تخفق راية الأسلام على ممالكه وشعوبه وثغوره، وكان فى هذه الدولة المتباعدة الأطراف عدة أجناس من الأمم من عرب وروم وفرس وبربر وغيرهم. وكان لهذه الشعوب المختلفة أديان متعددة. ومصالح وعادات حسب ماتقتضيه البداوة، ولغيرهم ماورثوه من عهد الأمبراطورية الرومانية. وماورثوه من عهد الأمبراطورية الفارسية. وما بقى من أجيال طويلة من عوامل عديدة. ومع ذلك فقد أديرت كما يقول العالم المحقق الشيخ عبد الوهاب خلاف شئون هذه الدولة على سعتها واختلاف أممها بقوانين أسلامية فى كل أمورها الدينية والدنيوية. ولم تضق بحاجة من حاجات تلك الأمم، ولم تقصر عن مصلحة من مصالحها الاجتماعية المختلفة... والبصراء من مفكرى الغرب يطأطئون رؤوسهم لتشريعنا. ويقتبسون منه الحلول لكثير من مشاكلهم بعد أن ثبت لهم أنه التشريع المبنى على الانسجام والتوازن بين مطالب المادة ومطالب الروح.

* * *

ومما يناسب هذا المقام ماقلته من قصيدة ـ حينما كنت مدرسا بالسودان ـ لمناسبة افتتاح السنة الدراسية ، بالمعهد العلمى الدينى ـ بأم درمان ـ على لسان الشريعة الأسلامية الغراء: ـ

أنا اللؤلؤ المكنون والجوهر الغالى ... أنا الكوكب الوضاء فى أفقه العالى (١)
رسمت طريق المجد والرشد والعلا ... وحصنت صرح الملك بالعلم والمال
ووفقت بين الدين والرأى دائما ... وأضفيت ذيل الطهر فى كل أعمالى
وأصلحت حال الناس فى كل موطن ... بروحى وتشريعى، وهديى وأفعالى

* * *

فما بال قومى نضر الله وجههم ... رمونى بداء العقم والمنطق البالى ؟
أأنشر ظلى يوم لاظل وارف ... وأمنع فى ذا العصر من نشر إظلالى ؟
أأشعل مصباحى وقومى بنجوة ... يسيرون خلف الغرب فى تيهه الحالى
فمرغ رايات الكرامة فى الثرى ... ودك الصروح الشم بالختل والآل
وصير هذا الجيل مضى مبلبلا ... تحيره دنيا ضلال وإضلال
وأذكى لهيب الحرب فى الأرض كلها ... يجندل أبطالا ويودى بأبطال

* * *

فياليت شعرى هل أرى اليوم مصلحا ... يسير على نهجى ويوحى بآمالى ؟
وينشر فوق الشرق والغرب رايتى ... وينضو لثام النور عن عهدى الخالى
فأهدى الحيارى الهائمين إلى الهدى ... وأروى العطاشى من رحيق وسلسال

* * *

نظام الحكم فى الأسلام

وأما الحكم فقد وضع الأسلام نظامه على أساس الشورى . قال تعالى - : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا « من حولك . فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى »

---

(١) كتاب - « وحى السودان » - للمؤلف.

« الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين »

وقال :- « وأمرهم شورى بينهم »

ولما كان الإسلام لا يقر الفوضى كان تنصيب ولى الامر المنتخب من ذوى الرأى ضروريا . فقد ورد فى حديث شريف :-

« إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه »

والحكم فى الإسلام بدأ برسول الله ﷺ . على أنه لم يكن ملكا ولا دكتاتورا ولا رئيسا . وإنما كان بشرا رسولا ، يدل على ذلك قوله لمن خافه وتهيبه عند مادخل عليه :-

« هون على نفسك . أنا لست بملك وإنما »

« أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد . »

ومع ذلك فقد كانت فى يده عليه السلام السلطات الثلاث . سلطة التشريع . وسلطة القضاء . وسلطة التنفيذ ، ولكنها كانت سلطات إلهيه يوحى إليه فى شأنها . ثم لما انتقل عليه السلام إلى الرفيق الأعلى كانت الخلافة . .

والخلافة هى النيابة عن الرسول ﷺ فى تولى شئون المسلمين - ولما كان الإسلام دين الشورى والرأى الحر . لم يبرم النبى قبل موته فيها أمراً ، بل جعلها شورى . فاجتمع ذوو الرأى من المهاجرين والأنصار بعد وفاته عليه السلام « بدار السقيفة » واختاروا « أبا بكر » خليفة وبايعوه ، فقام بالأمر خير قيام ، وأخذ رضى الله عنه يباشر شئون الخلافة احتسابا لوجه الله لا يأخذ عليها أجراً ، بل كان يعيش على مال تجارته ، إلى أن اجتمع الناس حوله . وفرضوا له قوته . وقوت أهل بيته من بيت مال المسلمين على أن يترك التجارة ويفرغ لشئون

الحكم فنزل عند رأيهم . ومع هذا فقد أوصى عند ما حضرته الوفاة برد جميع ما أخذه إلى بيت مال المسلمين - وعهد إلى عمر بن الخطاب بالخلافة بعده فوليها ولاية حكيمة يقظة حتى أن الأمر كان مستقبا مع امتداد دائرة الفتوح واتساع رقعة الدولة - ولما رأى عمر أنه ماض إلى ربه بعد أن طعنه « أبو لؤلؤة المجوسى » بخنجره ترك أمر اختيار الخليفة شورى بين فريق من الصحابة المبشرين بالجنة فاختاروا « عثمان ابن عفان » - وأخذت الفتنة تدب بين المسلمين فتسور عليه منزله وهو يتلو القرآن جماعة ثائرة وقتلته فتولى « على ابن أبى طالب » وكانت دنيا غير دنيا من سبقه فركبت « عائشة » الجمل ضده . وامتنع « معاوية بن أبى سفيان » عن مبايعته . فلما قتل « على » بيد « عبد الرحمن بن ملجم » رأى ابنه « الحسن » رضى الله عنه بنظره الثاقب أن يقطع حبل الفتنة والانقسام فتنازل « لمعاوية » عن الخلافة . فسمى هذا العام « عام الجماعة » وفيه انقضى « عهد الخلافة » وبدأ « عهد الملك » وتحقق قول الرسول عليه السلام : « الخلافة بعدى ثلاثون » ثم تكون ملكا عضودا » وكان الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم يستمدون سلطانهم من قوة الدين ، وأمانة الشورى . وطهر السياسة . فلما جاء عهد الملوكية جاء معها الانحراف شيئا فشيئا عن سنة الخلافة فى روحانيتها . وطهر سياستها إلى الأخذ بمبدأ « الميكيافيلية » وهو المبـدأ القائل - : « بأن الغاية تبرر الواسطة » فكانت المرونة فى الدين ديدنها ، إلا فى عهود ملأ الله قلب ملوكها بالتقوى مثل « عمر بن عبـد العزيز » وأشباهه ، وهم قليلون ، على أن هذه الملوكية التى قامت بعد الخلافة

كانت تسدل على نفسها ثوب الخلافة لتحتمى بها ، وتستمد من معناها الدينى قوة لتدعيمها إلى أن أغار التتار على : « بغداد » وقضوا على الدولة العباسية . فاحتمت الملوكية القائمة إذ ذاك بمصر بالخلافة ، أو بالحرى احتمت الخلافة الفارة من بغداد بالملوكية المصرية فرحبت بها وظلت فيها حتى وقعت مصر فى يد الترك بغزو السلطان « سليم الأول » لها فآلت إلى آل عثمان وصار سلطانهم يلقب بملك المسلمين . وخليفة رب العالمين ، إلى أن قضى على الملك والخلافة معا « أتاتورك مصطفى كمال » ، وأقام على أنقاضها « الجمهورية التركية » ، وصار أمر الخلافة والملك ، وسطوة آل عثمان فى الغرب والشرق ، وفى البر والبحر ، وفى السلم والحرب ، كما قال القائل - :

« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا . أنيس ولم يسمر بمكة سامر »

. . . أجل . قضى مصطفى كمال ومن معه من رجال الانقلاب على الخلافة والملك سائرين فى شعوب الأصيل على حدود المغرب . هاربين من نور النهار ، طامسين الطريق من الوراء حتى لا يرجعوا إلى الأهـل والخلان غير عابئين بالعقيدة واللغة وقضايا التاريخ ، مدعين أن الخلافة والملك هما اللذان أوردا تركيا موارد الهلاك ، بعد أن عانت على يديهما الدسائس والفتن وضروب الانحلال والخذلان ، ويشهد الله أنهما لم يوردا تركيا كل هذه الموارد ، وأنما الذى أوردها ذلك كله إنما هو النظام الفاسد الذى جرت عليه منذ القرن السادس عشر . وهذا النظام هو الجمود ، وعدم مسايرة النهضة الأوربية والحركة العلمية . فحجبت عنا كاتها عن العلم والنور حتى فرخ الجهل الدهر وعشش فى ربوعها .

كما تركت يد الانحلال تدب فى الجيش ، و الرشوة تعمل عملها علنا وعلى مرأى ومسمع من الكبير والصغير . وكذلك تركت الأجانب يفعلون أفاعيلهم فى قصم ظهرها . وأخذ الامتيازات لرعاياها منها . ولقد كان كل هذا يحدث و « ولى العهد » الذى هو « خليفة المسلمين » و « ملكهم المنتظر » سجين فى قصره ممنوع من الاتصال بالناس . محاط بالجواسيس . بعد أن كان النظام المتبع أيام عز الترك وسطوتهم يقضى عليه بأن يتدرب فى صغره على حكم الولايات وقيادة الجيوش . فكانت نتيجة هذا النظام أن تقلص ظل آل عثمان ودولتهم . وأخذت الولايات تضيع ولاية فولاية ثم آلت إلى ما يؤول اليه الكائن الحى الذى لا يصلح للبقاء .

* * *

ولقد أحاط الأسلام الحكم بسياج من العدل إذ لا فرق عنده بين رفيع ووضيع ، ومما ورد فى ذلك أن « فاطمة المخزومية » وهى من ذوات الشرف والنسب سرقت ووجب عليها الحد ، فتوسل أهلها إلى رسول الله ﷺ « بأسامة بن زيد » رجاء أن يعفو عنها . فقال النبى عليه السلام لأسامة ـ :

« أتتكلم فى حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب .

« وقال : أيها الناس . أنما ضل من قبلكم أنهم »

« كانوا أذا سرق الشريف تركوه . وإذا سرق »

« الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله . لو أن »

« فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . . . »

وكذلك ماذكره رواة التاريخ من أن « جبلة بن الأيهم » آخر ملوك غسان أسلم على عهد عمر ، وبينما هو يطوف بالكعبة أذ داس على أزاره « فزارى » ، فالتفت إليه جبلة ولطمه على وجهه . ورفع الأمر ألى عمر ، فقال له : ليلطمك كما لطمته ، فعز عليه ذلك . وطلب أن ينظره عمر فأنظره . وفى الليل هرب وتنصر ، ثم ندم وأنشد : ـ

« تنصرت الأشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر »
« تكنفنى منها لجاج وغلظة * وبعت بها العين الصحيحة بالعور »
« فليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت إلى القول الذى قاله عمر »

وكان رضى الله عنه لايرى أن لأرادة الانسان أثرا فى شىء ، بل إن الفاعل هو الله ، ولذلك فأنه عند ماولى الأمر عزل خالد بن الوليد ، ثم أذاع فى الناس وكتب إلى الأمصار ـ :

« أنى لم أعزل خالدا عن سخط ، ولا عن خيانة . ولكن »
« الناس فتنوا به فخفت أن يفتتن بنفسه . وأحببت أن »
« يعلموا أن الله هو الفاعل . »

وكان الحكام المقدرون للمسئولية يوم الجزاء يستدعون من ينبههم . ويعظهم ويرشدهم ألى مايجب أن يتبع ، كما كان يفعل سليمان بن عبد الملك . فلقد استدعى « أبا حازم » الزاهد وقال له ، عظنى . فلما وعظه بكى وقال له : سل حاجتك . فقال رفعتها إلى من هو أقدر منك عليها . فما أعطانى منها قبلت . وما منعنى رضيت . . . .

وكذلك كان الحاكم أيضا يخضع لحكم الشريعة ولو على نفسه حتى

ولو كان فيه ازدراء واحتقار ، فأن العز بن عبد السلام ، لما أفتى ببيع أمراء المماليك ورؤسائهم لأنهم اشتروا بمال المسلمين ، خضع له السلطان وألزم الأمراء والرؤساء بأطاعته لأن هذا هو حكم الله ، وفعلا نادى عليهم الشيخ واحدا . واحدا ، وغالى فى ثمنهم ثم أعتقهم بعد أن قبض ثمنهم ورده الى بيت مال المسلمين .

* * *

... وكانت « الولاية » تعتبر مسئولية . لا وظيفة ترف وشرف قال عمر بن الخطاب — :

« لو أن جملا هلك ضياعا بشطر الفرات »

« لخشيت أن يسأل الله عنه ابن الخطاب »

وقال عمر ابن عبد العزيز

« ألا أنى لست بخيركم . ولكنى رجل منكم »

« غير أن الله جعلنى أثقلكم حملا »

وأن مبدأ « من أين لك هذا ؟ » جاء به الأسلام ، فلقد حدث الرواة أن « عمر بن الخطاب » أرسل إلى عمرو بن العاص يقول له — :

« أنه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية »

« وحيوان لم تكن لك حين وليت مصر ، فمن »

« أين لك هذا ؟ . . . . ثم قاسمه ماله . . . »

* * *

وكان الحكام ذوو البصر فى أدارة شئون الدولة يقدمون الأكفاء

المناصب . وإن كانوا غرباء ، فقد حدثوا أن أبا جعفر المنصور قال للربيع حينما طلب منه أن يولى أحداقاربه - أى المنصور -:

« يا ربيع . أن لاتصاله حقا فى أموالنا لا فى أموال الناس »
« وأعراضهم . أنا لا نولى للحرمة والرعاية . بل للاستحقاق »
« والكفاية . ولا نؤثر ذا النسب والقرابة على ذى المعرفة »
« والدراية . » وذلك عملا بالحديث الشريف : أيما رجل »
« استعمل رجلا على عشرة أنفس . وعلم أن فى العشرة »
« أفضل ممن استعمل فقد غش الله . وغش الرسول . »
« وغش جماعة المسلمين . »

والخلاصة أن أولئك الحكام المصلحين ما رضوا أن يولوا من لا يصلح للولاية ، أو يستقضوا من لا يصلح للقضاء ، مستمسكين بما وضعه الأسلام من القواعد والتعاليم فى كل من « باب الولاء والولاة » و « باب القضاء والقضاة » فدانت لهم الدنيا وأهلها ، فلما مالوا مالت بهم الأيام .

* * *

مشكلة الجهل وكيف عالجها الأسلام ؟

من أخطر مشاكل المجتمع « مشكلة الجهل » ، ولذا كان أول ماعنى به الأسلام القضاء عليه . فجعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، كما جعله من جملة فداء أسرى بدر ، وذلك بأن يفتدى الأسير المتعلم نفسه بتعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة .....

والعلم متشعب النواحى . متسع الدائرة ، ولذا حث القرآن الكريم على الاستزادة منه . قال تعالى - :

« وقل رب زدنى علما » وقال أيضا - : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام - :

« تعلموا العلم . فأن تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسبيح »
« والبحث عنه جهاد . وطلبه عبادة . وتعليمه صدقة »
« وبذله لأهله قربة . »

. . . ولقد كانت دوره أبان عصور الأسلام الذهبية مفتحة الأبواب للناس جميعا ، وكان يترك للطلاب حق الاختيار حسب الميول والمواهب ، وكان يقوم على حرية البحث والمناقشة ، وفى هذا من الثقة بالنفس والاعتداد بها مايوسع الملكات ، ويشجع الهمم - وكان للعقيدة الدينية أثر فى الانكباب عليه ، وذيوعه ونشره ، لدرجة أن ظهر من النابغين من ضربت بهم الأمثال - ولدرجة أن برزت المرأة العربية فى كل فن ، وكل علم ، مما لم يحدث مثله لا فى عهد الأغريق ، ولا فى عهد الرومان ، ولا فى عهد المسيحيين فى العصور الوسطى ، ولقد كان « لجماعة أخوان الصفا » ولمكاتب « بغداد ، وسمرقند . وبخارى . وقرطبة . والقاهرة » يد طولى فى نشر العلم . كما كان لمدارس الطب والحكمة والعلوم فى العواصم الاسلامية أثر فى حفظ الحضارة ونموها . . . وممن ضربوا بسهم صائب فى النبوغ ، أبناء شاكر الثلاثة . . والبيرونى فى الرياضة ، والخوارزمى فى الجبر والزرجانى فى الفلك - والكندى . والفارابى . وابن سينا . فى الفلسفة

- وساعد بن بشر فى الطب - وغيرهم مما لا يتسع المقام لذكرهم - ذلك لأن الاسلام لم يعاد العلم . ولم يختلف معه . لما للعلم من الأثر فى الكشف عن الأسرار الإلهية . وتسخير الكون وما فيه .

* * *

مشكلة المرض وكيف عالجها الاسلام ؟

والمرض أيضا مشكلة اجتماعية تفت فى عضد الأفراد والجماعات . ولذا شرع الأسلام مبدأ الوقاية من المرض أولا - ثم العمل على إزالته ثانيا - .. ومن أجل ذلك كانت تشريعاته كلها تتفق مع سلامة الروح والبدن معا - فلقد قرر الوضوء وطهارة البدن والثوب قبل أن تقرر « البكتريولوجية » و « البايولوجية » وجوب النظافة كوسيلة لمنع انتقال الميكروبات المرضية وتسربها إلى أعضاء الجسم . وقرر السواك قبل أن يقرر علم طب الأسنان أن ترك بقايا الأغذية بين الأسنان بدون أزالة مباءة لميكروبات التسوس ، والميكروبات التى تنتقل إلى المعدة - وقرر الحجر الصحى ، وأمر بالبعد عن مصادر العدوى قال عليه السلام - :

« اتقوا المجذوم كما يتقى الأسد »

وقال - :

« وكلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين »

وقال - :

« لا يورد ممرض على مصح . وأن الجرب الرطب

« قد يكون بالبعير . فأذا خالط الأبل . أو حككها »

« أو آوى ألى مباركها . وصل أليها بالماء الذى يسيل منه »

وقال ـ :

« إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فــــلا تقربوها »

« وأذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها »

ولقد عمل عمر بن الخطاب بهذا عند ماخرج إلى الشام مع قوم من المهاجرين والأنصار . فأنه لما اقترب منها قال له بعض أصحابه : إن الوباء منتشر بأرض الشام فنادى فى الناس قائلا « أنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه » فقال له أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً من قدر الله ؟! فقال : نعم . نفر من قدر الله ألى قدر الله . أرأيت لو كانت لك أبل هبطت واديا له عدوتان . أحداهما خصبة . والأخرى جدبة . أليس أن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله . وأن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ . . . ولم يقف الأسلام عند هذا الحد بل قرر لترويض الجسم وتقويته ـ الرمى . والسبق ـ كما قرر اعتزال النساء فى المحيض وأشباهه لمنع الأذى قبل أن يقرر « علم البكتريولوجيا » و « الفسيولوجيا » وجود ميكروبات ضارة مؤذية لدى المرأة أبان ذلك . . .

****

مشكلة الفقر وكيف عالجها الأسلام ؟ .

عالج الأسلام الفقر بعلاجين ـ علاج للفقير وعلاج للمجتمع ، لأنهما فى نظره وحدة متماسكة فيجب أن يتلاءما حتى يقوى الارتباط ويتحقق التآخى والتعاون ، ولذلك بث فى نفوس الأغنياء أن الأموال التى فى أيديهم ماهى إلا وديعة استودعهم الله أياها ، واستخلفهم فى

حفظها وأدائها وتوزيعها على الفقراء وفى وجهات الخير التى شرعها الله سبحانه ، حيث يقول ـ :

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه »

فللفقراء فى مال الأغنياء حق معلوم . هو ربع العشر فى المال وما يقدر بنحو ذلك فى غيره وربع العشر هذا هو الزكاة التى هى الركن الثالث من أركان الاسلام الخمسة لايكمل للمسلم دينه ألا بأدائها ، ولم يقف الاسلام بالنسبة للفقراء عند فرضها . بل شرع للبر فى العبادات والمعاملات موارد لايأسن لها ماء ، ولا ينقطع لها رافد ـ . . . يحنث الرجل فى يمينه فيكفر بأطعام عشرة مساكين من أوسط مايطعم أهله ، أوكسوتهم . أو تحرير رقبة ـ ويقسم ألا يفعل شيئا ثم يرى أن فعله خير من تركه فيكفر بأطعام المساكين ثم يفعله ـ ويظاهر من زوجته ثم يبدو له أن يعود ، فيطعم ستين مسكينا . أو يحرر رقبة .

ـ ويرمى فيقتل نفسا من غير عمد فيطعم أو يعتق فضلا عن أداء الدية

ـ ويعجز عن صوم رمضان لسقم أو هرم فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينا ـ ويفطر عامدا فى رمضان من غير علة فيطعم ستين فقيرا . أو يفك رقبة . مع قضاء اليوم ـ ويخل الحاج بشرط من شروط الحج فيكفر عنه بذبح يقدمه للمساكين ـ ويتجرد الحاج عن المخيط فأذا لبس شيئا منه لزمته الفدية ـ ويرزق الرجل غلاما فيعق عنه بذبيحة يطعمها الفقراء يوم أسبوعه ـ ويقبل عيد الفطر أو عيد الأضحى فيجب على الأغنياء أن يرفهوا عن الفقراء بزكاة الفطر ولحوم الأضاحى ـ وينذر المسلم نذراً فيوجب الدين عليه أن يفى به براً

بالفقراء . وعونا المساكين ـ وجاءت الشريعة بالوصية لمن حضره الموت ، وذلك بأن يوصى بثلث ماله لوجوه الخير . فضلا عن الوصية للوالدين والأقربين ـ ويعجز الرجل عن تكاليف العيش فيوجب الدين على من يرثه بعد موته أن ينفق عليه . فينفق الابن على الأب . والأب على الابن . والأخ على الأخ . والزوج على الزوج . عملا بالقاعدة الاسلامية الحكيمة « الغرم بالغنم » ـ ولقد رأى « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه يهوديا لا يقدر على شيء . فوقف به ثم قال :

« ماأنصفناك أيها الذمى « أخذنا منك الجزية فى »
« قوتك فيجب ألا نضيعك فى ضعفك » . . . « ثم »
« أجرى عليه من بيت مال المسلمين مايقوم بأوده »

ولقد أعطى الاسلام الحق للوالى فى أخذ أكثر من الزكاة والصدقة إذا استدعى الحال ذلك . فقد أثر عن عمر بن الخطاب أنه قال ـ :

« لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت »
« فضول أموال الأغنياء وقسمتها على الفقراء . »

ويقول ابن حزم ـ :

« إن على الأغنياء من كل بلد أن يقوموا بفقرائه »
« ويجبرهم السلطان أن لم تكف الزكوات . . . »

وللوالى أيضا الحق فى أن يضع يده على جميع أموال الرعية ، لسد حاجات الأمة إذا طرأ عليها من الحوادث ما يتطلب ذلك . وهذا تمشيا مع القاعدة الاسلامية الحكيمة .

« أذا احتاج المسلمون فلا مال لأحد »

ولقد وضع الرسول عليه السلام مبدأ التأمين الاجتماعى بقوله :-

« من خلف مالا أوحقا فلورثته . ومن خلف كلا »

« أو دينا فكله الى - ودينه على . وعلى الولاة »

« من بعدى . من بيت مال المسلمين . . . . »

ولشدة عناية الأسلام بأمر الفقراء جهز أبو بكر أحد عشر جيشا لمحاربة مانعى الزكاة - وأن كلمة « فى سبيل الله » التى هى أحدى مصارف الزكاة ، ليدخل فيها كل جهات الخير من أعداد الجيوش ، وتأسيس دور العلم، وأنشاء الملاجىء والمستشفيات الى غير ذلك مما يعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع ، بشرط الأخلاص ، وعدم المباهاة والرياء ، ففى الحديث القدسى :-

« أن الله عز وجل يقول يوم القيامة » - :

« يا ابن آدم . مرضت فلم تعدنى : فيقول ابن آدم : يارب . »

« كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟! : فيقول الله : أما »

« علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده ؟! أما إنك لو عدته »

« لوجدتنى عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ؟! »

« فيقول : يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟! فيقول »

« الله - : أما علمت أن عبدى فلانا استطعمك فلم تطعمه . »

« أما أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم »

« استسقيتك فلم تسقنى ؟! فيقول : كيف أسقيك وأنت »

« رب العالمين ؟! فيقول الله. استسقاك عبدى فلان فلم تسقه .
« أما أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى . »

* * *

ولعناية الرسول عليه السلام بأمر الفقراء اكتئب لهم بنفسه ... في حديث رواه مسلم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه . أن قوما من مضر أقبلوا على الرسول ﷺ فى صدر يوم من الأيام ، وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقة ، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا . فتغير لذلك وجه الرسول ﷺ ، وبدا عليه الغضب الشديد ، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم الفاقة إلى هذا الحد ، وقد جعل الله لهم حقوقا فى أموال أخوانهم الأغنياء ، فرؤى ﷺ يومئذ مهتما قلقا ، يدخل ويخرج ، ويقوم ويقعد ، ثم أمر بلالا أن يؤذن فى الناس. فأذن بلال .وحضر الناس وأقيمت الصلاة . ثم خطب فقال ـ :

ـ يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ـ
ـ وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، ـ
ـ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام أن الله كان عليكم ـ
ـ رقيبا . . يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ـ
ـ ماقدمت لغد ، واتقوا الله أن الله خبير بما تعملون ، ولا ـ
ـ تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم ـ
ـ الفاسقون ـ لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب ـ
ـ الجنة هم الفائزون ـ ألا فليتصدق رجل من ديناره . من ـ

ـ درهمه . من ثوبه . من صاع بره . من صاع تمره . إلى أن ـ

ـ قال : ولو بشق تمرة ـ

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت. ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب فتهلل وجه النبي ﷺ لما رأى من تلبية ندائه واستجابة دعوته . وقيام الأغنياء بحق الفقراء .

ثم قال ـ : من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء . . . .

ولهذا كان الحكام الذين يخشون المسئولية الإلهية يراقبون الله فى الرعية ، ويتركون أبهة السلطان مستطلعين أحوال الناس بأنفسهم ، وكان عمر بن الخطاب على رأسهم . . . حدثوا أنه طاف متنكرا فى أحدى الليالى ، فوجد أطفالا يبكون ، وأمهم تلهيهم بقدر تغليه على النار حتى يناموا . وذلك لعدم وجود قوت فى البيت ، فذهب بنفسه وأحضر برا وتمرا وسمنا وثيابا ودراهم . فأخذته وهى لا تعلم أنه عمر ، وظل المسلمون فى حرصهم على تنفيذ أوامر الدين وتعاليمه حتى دانت لهم الممالك ، وأفعمت مصارف الزكاة بما يجيء أليها ، وحسنت أحوال الناس ، وكانت الحاجة والعوز لا يجدان مكانا لهما فى كثير من البلاد الاسلامية لعدم وجود مستحق للزكاة فيها ، فتنقل إلى بلاد أخرى ، وذلك فى عهد الملك العادل عمر بن عبد العزيز ، . . . والناس اليوم يتساءلون ، هل يدخل كسب العمل . وكسب الصناعة . وكسب التجارة فى الزكاة ؟ ! . . .

والجواب أن كل كسب عليه زكاة . . . ولأهمية هذه المشكلة - أى مشكلة الفقر - فى نظر الأسلام أكثر من الأشارة أليها . وحسب القارىء أن يعرف أن آى الصيام فى الكتاب أربع ، وآى الحج بضع عشرة . وآى الصلاة لا تبلغ الثلاثين . أما آى الزكاة والصدقات فأنها تربى على الخمسين . وبهذا التشريع السماوى العجيب . وبالتطبيق الكامل من الرسول عليه الصلاة والسلام . وأصحابه وأتباعه المهتدين . انهزم الفقر فى قفار الحجاز . كما انهزم فيما بعد فى ريف مصر وسواد العراق . وكأن الله سبحانه وتعالى اختار رسوله فقيرا ليكون أظهر لقوته . كما اختاره أميا ليكون أبلغ لحجته . . ويرحم الله شوقى أذ يقول - :

« الاشتراكيون أنت أمامهم * لولا دعاوى القوم والغلواء »

« أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى * فالكل فى حق الحياة سواء »

« فلو ان أنسانا تخير ملة * ما اختار إلا دينك الفقراء »

* * *

المرأة ومكانتها فى الاسلام (١)

عانت المرأة ماعانت من ضروب الشقاء منذ عهد البشرية الأولى ، حيث اعتقد فيها الأقدمون أنها الباب الذى اقتحم منه أبليس سور الأمر الإلهى على آدم حتى أخرجه من الجنة ، ولقد عاشت مع رجلها على الأرض كما يقول علماء الاجتماع معيشة الحيوان الأعجم فلا أسرة ولا أوضاع مرعية ، ثم لما جاء عهد الاستقرار كان للرجل الزعامة ،

---

(١) - كتاب وحى المرأة - للمؤلف

وكانت هي وأولادها عبيدا له ، ولما جاءت الشرائع الأولى للانسانية كانت الرعاية التى نالتها ضئيلة ، أو تكاد تكون معدومة ، « فشريعة كن » بالصين كانت تعتبرها حيوان لذة - و «وشريعتا بابل وآشور » كانتا تبيحان جمع العذارى كل عام وبيعهن على يد الكاهن بالمزاد العلنى ، وجاءت اليهودية فمنعتها الارث . وأباحت لوليها بيعها وهى قاصر أذا ألحت به الحاجة ، والمسيحية جعلت الرجل الرأس وهى الجسد ولم تتورع الكنيسة عن بيعها كما حدث عند ما بيعت امرأة فى أسواق انجلترة بثلاثين سنة ١٧٩٠ م . لأن تكاليفها ثقلت على الكنيسة التى تأويها ، ولم تكن المسكينة أيضا فى عهود المدنيات القديمة خيراً منها فى سواها ، فالأثينيون كانوا يبيحون الاتجار بها ، والاغريق كانوا يمتهنونها ويتشاءمون منها وعلى رأسهم فلاسفتهم « كسقراط » و « شوبنهور » و «ديوجين» والرومانيون ما كانوا يعترفون بأنها إنسان إلى أن اجتمع المجمع الرومانى سنة ٥٨٦ م ومنحها درجة الانسانية على شرط أن تظل خادمة للرجل ، أما العرب فكانوا يئدونها وهى حية ، ويبيعونها إذا أخطأها الموت ، ولا يورثونها ، ولا يملكونها إلى غير ذلك مما هو حق للرجل . . فلما جاء الاسلام اعترف لها بكل الحقوق الانسانية - كحق الحياة . وحق الحرية ، وحق الملك ، وحق الأرث . بل وحق اختيار زوجها ، وحق طلاقه أذا ما اشترط ذلك عند العقد ، وحق الجهاد بدون إذن زوجها إذا داهم بلاد المسلمين مداهم. وكذلك أباح لها حضور المجتمعات العامة ، ومناقشة الرأى فيما هو

من شئونها كما فعلت المرأة التى عارضت عمر فى تحديد المهر فرجع عن رأيه إلى رأيها .

* * *

وهنا تعترضنا مشكلة ، هى . هل للمرأة قياسا على ماحدث على عهد عمر - حق الانتخاب والنيابة . . . ؟ ! ثم ما يتبع ذلك من حق فى السلطة التنفيذية . والتمثيل السياسى . . ؟ وهل لوجود الفوارق بين الجنسين . . وأثر الغريزة فى كل منهما . وبروز الخصائص التى امتاز بها الرجل . أثر فى هذا الحق وما يتبعه . . . ؟ . . . والجواب . أن الأسلام لم يحتكر العمل للرجل ، ويقذف بالمرأة خلف الأسوار ، بل دفعها هى والرجل إلى أهداف الحياة العليا بدليل قوله تعالى - : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الخ الآيات » . . . ولقد ابتدأ الأسلام لتحقيق هذه الأهداف بتكوين المرأة الفاضلة ثم انتهى بتقييد الاجتماع والاختلاط . لدرء الفساد ، محاولا أن يكون للرجال مجتمعاتهم ، وللنساء مجتمعاتهن فأذا ماتحتم اجتماعهما فى صعيد واحد وضعت الاحتياطات » .

* * *

<u>الحرب والسلم</u>

لم يشرع الأسلام الحرب للاستيلاء والتملك ، وتوسيع رقعة الدولة كما أنه لم يشرعها لأغراض اقتصادية أو استراتيجية . بل لرد الظلم والعداون . حيث تشير ألى ذلك الآية الكريمة - :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . »

...وكذلك شرعها لاقامة أركان العدل فى الأرض ، وتثبيت دعائم الفضيلة بين الناس ، تنفيذا لقوله جل شأنه — :

« الذين أن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وأتوا »

« الزكاة . وأمروا بالمعروف . ونهوا عن المنكر »

. . . ولذلك فقد كان المسلمون الأولون يقدمون أرواحهم على أكفهم مستبسلين مستشهدين — كالصحابى الجليل — أبى دجانة ، إذ قدم نفسه ليوضع فوق جحفة ترفع على أسنة الرماح ثم يقذف بها وراء باب حصن منيع — وذلك فى حرب المسلمين مسيلمة الكذاب — فلما قذف به باغت مسيلمة وأصحابه وأعمل فيهم سيفه ثم فتح الباب فتدفق المسلمون وتم لهم النصر — وكان بهذا أبو دجانة وحده فرقة الكامندو — فى صدر الأسلام .... وكالجندى الباسل على عهد « مسيلمة بن عبد الملك بن مروان ، حيث أنكر ذاته ، ودخل نقبا — فى حصن من حصون الروم حينما امتنع على المسلمين — حتى فتحه — فلما نادى المنادى بأمر مسيلمة أن يحضر صاحب النقب ، حضر على شرط ألا يسأل عن اسمه ، وألا يبذل له عطاء ، وألا يخبر به أمير المؤمنين — فكان هذا الرجل بعمله العظيم ، وبأنكاره ذاته — هو المثل الأعلى للجندى المجهول فى الأسلام — ذلك لأن الأسلام دين البذل والتضحية ، والشجاعة والأقدام ، ولهذا لم يجد الجبن طريقا إلى نفوس المسلمين الأولين ، بل كان الاستشهاد فى سبيل الله أعز أمانيهم لاعتقادهم أن الشهادة هى السبيل الموصلة للجنة وأنهم كما وعدهم الله أحياء عند ربهم يرزقون .

ولما كانت الحرب سنة الطبيعة ، وكانت سجالا بين عناصر هذا الوجود بحكم ناموس تنازع البقاء شرعها الاسلام .... وشرع لها آدابا حتى لا تكون فوضى .... ومن هـذه الآداب الانذار بها ، وحماية حقوق المستأمن المنتسب للعدو ، وعدم قتل النساء والأطفال ورجال الدين الذين حبسوا أنفسهم فى البيع والكنائس ، وعدم الغدر والخيانة ، وعدم التمثيل بالأعداء... وسماحة الاسلام فى حربه وسلمه وصلحه ومعاهداته لا يوجد لها مثيل فى تاريخ البشر حتى أن مبدأ الجلاء الذى يطنطن به أدعياء المدنية العصرية قد سبق به الاسلام فقد حدثوا :—

« أن « قتيبة بن مسلم الباهلى » حالفه النصر على عهد الخليفة »
« « عمر بن العزيز » حتى وصل شرقا إلى تخوم الصين ' »
« فوضع يده على بلاد السند التى لم تحاربه . واحتلت »
« جيوشه رقعتها ، فاتفق أهل الرأى فى تلك البلاد على »
« رفع الأمر إلى عمر ضد قائده . وذهب وفد منهم إليه »
« لهذه الغاية . فأرسل معهم قاضيا يحقق ويحكم بالعدل ' »
« فذهب القاضى ، وحقق مع قتيبة فثبت له صدق ما قال »
« الوفد ، فأصدر حكمه بالجلاء فورا . وبأن يرد الجيش »
« ما أخذه ، وبأن يرجع كل شىء إلى أصله . وهم القائد »
« بالتنفيذ . ولكن عدالة الاسلام فى حكمه استثارت حماسة »
« الأهلين . ورضوا بأن يدخلوا تحت حكم الاسلام طائعين »

* * *

أما إذا ما وضع أعداء الأسلام السيف ومدوا أيديهم طالبين الصلح والسلام تقدم اليهم المسلمون ملبين مسرعين قال تعالى ـ :

« وأن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »

ومن هذا يتضح أن الحرب وأن شرعها الأسلام للضرورة فلا يلجأ أليها ألا أذا كان السلم ضارا . وكانت الحرب هى الدواء والعلاج . وصدق من قال ـ :

والحرب فى حق لديك شريعة ومن السموم الناجعات دواء

* * *

ولما كان الرق نتيجة للحرب منـــذ القدم جعله الأسلام أمرا عرضيا ودعى إلى عتق الرقيق ومنحه حريته فى غير موضع من كتابه، ولقد بلغ من تقديسه الحرية أنه لم يحجر على العقل ولم يكره أحدا على اعتناق الأسلام « قال تعالى » :

« لا أكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »

وقال :

« ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن »

وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص لما بلغه تعاظم ابنه على قبطى مسيحى !

« متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » ؟!

ولما أراد « السلطان سليم العثمانى » توحيد دين الدولة أبى عليه ذلك شيخ الأسلام الموجود فى عهده ، احتراما لوصايا الدين من حرية العقيدة وما يتصل بها من حريات وقرر الأسلام أن تكون

ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، فاذا أمن مسلم أحدا ولو كان غير مسلم صار فى جواره واحترم هذا الجوار . . . وإذا أصدر الحاكم أمرا عاما يجب أن ينفذه فى نفسه قبل أن ينفذه فى غيره . مسلم كان أو غير مسلم . قال تعالى :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا . .

« اعدلوا هو أقرب للتقوى »

* * *

العهود والمواثيق

الاسلام صريح القصد فيما يبرمه من عهود ومواثيق وهو ينتحى بها ناحية الفضيلة ؛ ويرى التحلل منها لمصلحة شخصية أثما كبيرا . . قال تعالى :

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا »

ولقد كان عهده صلى الله عليه وسلم مع أهل المدينة من اليهود والمشركين ينص على أن ينصر بعضهم بعضا ضد من تألب عليهم ، على أساس الحق والعدل ، والنصح والنصيحة ، والبر دون الاثم ، وحرمة الأوطان المشتركة . وصون عقائد المتعاقدين وشعائرهم وحرياتهم فى الدعوة لدينهم مهما تباينت هذه الأديان ، كما ينص على حرمة من يدخل فى الميثاق وحرمة جواره ، وقد دخلت فيه فعلا بطون وقبائل من ديانات متعددة على هذا الأساس . . . وبلغ من حرصه صلى الله عليه وسلم على الوفاء بالعهد الذى اتفق عليه أثناء المناقشة وإن لم تتم كتابة العهد ، أنه بينما كان يفاوضه « سهيل بن عمرو » « فى الحديبية » ، إذ جاء « ابن سهيل » يرسف فى الأغلال ، وقد فر من الأعداء الذين يمثلهم أبوه ويتفاوض مع الرسول باسمهم ،

وكان هذا الابن ممن آمنوا بمحمد ، أجل . جاء « أبو جندل بن سهيل ابن عمرو » الرسول مستصرخا ، وقد انفلت إلى المسلمين من أيدى المشركين « فلما رأى سهيل ابنه قام أليه وأخذ بتلابيبه ، ثم التفت إلى الرسول وقال : يا محمد . لقد لجت القضية بينى وبينك « أى فرغنا من المناقشة » قبل أن يأتيك هذا » . . . . . فقال الرسول : صدقت ، فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين أورد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ فلم يغن عنه ذلك شيئا . ورده رسول الله وفقا للشروط التى اتفق عليها ولم يكن قد كتبها ، ولكنه كان قد انتهى من المناقشة فيها وقبل الشروط فلم يتحايل ولم يتردد . . .

وما أظن أن فى تاريخ البشر مثلا لرعاية الكلمة التى قيلت ولما تكتب . ولما تمض . كهذا الذى ضربه رسول الله فى « الحديبية » على مرأى من خصومه . وعلى كره من أنصاره . . . وقد كان من شروط « الحديبية » أيضا نصرة من كان داخلا فى تحالف مع أحد المتعاقدين ، وقد قبل هذا الشرط ولو كان الداخـــل فى التحالف معه غير مسلم ولكن بشرط أن يكون مظلوما « كخزاعة » وأن كان حلفها قديما متوارثا منذ جده « عبد المطلب » وله فى نفسه مكانة ممتازة ، بل إن الاسلام يقر كل تحالف يقوم على هذين الأساسين « الحق . والعدل » فلقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« شهدت فى دار عبد الله بن جدعان « حلف الفضول » أما »
« لو دعيت إليه فى الاسلام لأجبت . وما أحب أن لى به حمر النعم »
« وأنى نقضته . وما يزيده الاسلام إلا شدة »

وحلف الفضول هذا هو حلف حدث فى الجاهلية ، وسببه أن تاجرا يمنيا أخذ يطوف أنحاء مكة ويقف فى مجتمعاتها يشكو ظلم

« العاص بن وائل » من زعماء قريش ، إذ لم يؤد إليه ثمن « بضاعة » اشتراها منه منشدا إياهم.

يا اقصى لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر !!

ففزع لذلك قوم لا يقرون الظلم من بنى هاشم . وبنى المطلب . وبنى زهرة بن كلاب . ومن تيم بن مره . وأسد بن عبد العزى . واجتمعوا « بدار ابن جدعان » ثم تحالفوا على نصرة الجنى ونصرة كل مظلوم ، وأطلقوا على هذا الحلف اسم « حلف الفضول » ، وقد حضره الرسول قبل البعثة ، وأقره لما أرسل .

* * *

العنصرية وكيف حاربها الإسلام !

جاء الإسلام لتقرير مبدأ المساواة بين الناس جميعا . إذ أن وثنية العنصر والوطن والطبقات لا يعرفها ولا يقرها قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم »

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ليس منا من دعا إلى عصبية . وليس منا من قاتل على عصبية » « وليس منا من مات على عصبية »

وقال فى خطبة الوداع :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى ، ألا هل بلغت اللهم فاشهد ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » ... ويقول عمر رضى الله عنه : « إن الله ليس بينه وبين

أحد نسب إلا طاعته فالناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء »

وقد روى أن « أبا ذر الغفارى » رضى الله عنه عير أنسانا بقوله : « يا ابن السوداء » فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « طف الصاع . طف الصاع . ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بالتقوى . أو بعمل صالح » فندم أبو ذر ووضع خده على الأرض . وقال لمن عيره : قم فطأ خدى بقدمك »

وقال عمر بن الخطاب : والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل . فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة .فأن من قصر به عمله . لا يسرع به نسبه .

* * *

ولهذا فقد ملك من المسلمين أجناس وألوان حسب مقدرتهم على أدارة الملك لا حسب عنصرهم ، والأسلام مع هذا وسع الدائرة الأسلامية لمعتنقيه لجعل وطن المسلم يمتد مع العقيدة . قال تعالى :

« يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فأياى فاعبدون »

وبهذا التوجيه السامى قضى على العنصرية . وتفاوت الطبقات بينما الأمم قديما وحديثا تجعل العنصرية . والجنسية والتفاوت مبدأ من مبادئها ، فقديما كان المصريون أبان مجدهم يدعون أنهم السادة ومن دونهم عبيد . حتى أن « هيرودت » المؤرخ العظيم حكى أنهم كانوا يقولون عن الأغريق : « انكم معشر الأغريق لستم إلا أطفالا وما تعلمون من العلم شيئا » . وكذلك كان الأغريق أبان مجدهم فقد كانوا يقولون :-

« إن اليونانى سيد الدماء » وهكذا كان الرومان أبان سطوتهم فقد

كانوا يعتبرون أنفسهم شعبا لا يصلح إلا للسيادة ، ثم لعبت هـذه الفـكرة أبان مجد العرب دورا خطيرا ثم بين العرب والفرس زمنا طويلا ـ وطفت نعرة الطبقات أبان العصور الوسطى من سادة وعبيد . وأشراف وعامة ، ـ هذا فضلا عن نعرة الدين أبان الحروب الصليبية التى لم تزل آثارها تعمل فى هيكل الانسانية إلى اليوم تارة كاشفة قناعها وتارة من خلف القناع ... وفى عهد النهضة الحديثة تدعى الأمم المساواة وعدم التفاوت ، وهو ادعاء كاذب .. ألا ترى أن أمريكا التى تدعى أنها حامية الديمقراطية لم تسو بين البيض والسود فى بلادها لا فى التشريع ، ولا فى السياسة ، ولا فى الاقتصاد ؟ ولن يغرب عن الأذهان شيوع « فـكرة الجنس » التى ظهرت أبان هذه النهضة . واعتبر الانسان الأبيض سيد الخليقة ، ثم وضع على قمة هذا الأنسان « التيتون » الذين يجب ألا يلوثوا دمهم بدم أجنبى . لأن هـذا لا يحط بمعالى شأنهم فحسب ، بل ويسمو الحضارة التى هم حراس عليها ، واعتبر الألمان أنفسهم بناء على هذا أنهم أسمى الأجناس ، وقالوا : ألمانيـــا فوق الجميع . وألمانيا هى الأمة المتمايزة التى يتجسم فيها الروح المسيطر على الحوادث ، والتى يختـــار رجالها للأنقاذ . وكان أن خدعت المسكينة بهذا الفهم القائم على آراء « جوبينو » الفرنسى فى كتابه « تفاوت الشعوب » ، وعلى آراء مناصره « هوستن استيوارت شمبران » الأنجليزى الذى انسلخ عن جنسيته وتجنس بالجنسية الالمانية . وعلى آراء « هجل » الألمـــانى وبحوثه « فى النظرية النسبية للتاريخ » ، وكانت نتيجة هذا أن غالت ألمانيا بنفسها ، واندفعت إلى حربين عالميتين انتهتا بها إلى الضياع . . . على أن هذا المظهر لو تتبعه الباحث المدقق لوجده فى جميع أمم هذه الحضارة ، وأن سدلت عليه ستارا كثيفا ـ

ذلك لأن عناصر مدنيتها مستمدة من التراث اليوناني الوثني ، ومن الثقافة الرومانية التي دعامتها البطش والغلبة ، ومن النضال الطويل بين الكنيسة والعلم ، ومن بقايا عهود الأقطاع التي قسمت الناس إلى قسمين - أسياد وعبيد - وملاك وزراع - ، ولهذا فساستها لا يفتأون يفرضون سيادتهم على غيرهم من الأمم ، ويخترعون من الأسباب ما يبرر هذه السيادة ، حتى وصفهم الكاتب العالمي « سدني لو » بأنهم أشبه بعصابات من اللصوص يهبطون على الحلل الآمنة فيثخنون فيها الجراح ثم ينقلبون بالغنائم والأسلاب .

* * *

لقد أنشأوا « محكمة العدل الدولية » في لاهاي قبل الحرب العظمى فلم تفد شيئا ، ثم جاء « ولسن » بمبادئه الأربعة عشر بعدها فلم تفد شيئا ، وكونوا « عصبة الأمم » بدعوى الدفاع عن حرية الأمم ، وإعطائها حقوقها ، ومنع الحروب وويلاتها ، ومع هذا فلم تتحقق دعاويهم وقامت الحرب العالمية الثانية . . ! وجاء بعد ذلك « ميثاق الاطلنطي » وتقرير الحريات الأساسية للأنسان ، ثم « مشاورات موسكو » و « مؤتمر دمبرتون اكس » و « قيام هيئة الأمم المتحدة » وتدعيم « مؤتمر سان فرنسيسكو » لها ، كل هذا من أجل العمل على تحقيق تلك الغايات الانسانية السامية ، من إقرار السلم ، وتقرير الحقوق ، وتبادل المنافع ، والتعاون العام بين الأمم ماديا وأدبيا . ومع هذا فالحال تنتقل من سيء إلى أسوأ ، حتى لتكاد تتحقق نبوءة الباحث العالم « ولز » بعدم صلاحية هذه الحضارة ، وبأنها « عود ثقاب » يكاد يشعل الحرب من جديد ، وبأنها حضارة فاجرة لمحاولتها

كسر اللولب الذى بينها وبين السماء ، ولأنها لا تعتبر أصول الاخلاق التى أتت بها الشرائع السماوية ، حتى صار أنسانها وحشا فى جسم آدمى

* * *

أنقاذ الأنسانية على يد الأسلام

ان المخرج للأنسانية لليوم من ورطتها أن تربط ما بينها وبين الروحانيات برباط من الود والتفاهم مستندة فى ذلك إلى وحى سماوى يتمشى مع سنن الوجود ، ونواميس العمران ، وليس غير « الأسلام » يتفق مع تلك السنن والنواميس ، لانفراده بمزية الأصلاح ، وتعميمه بين جميع الأجناس فى الحكم والتشريع عكس الديانات الأخرى ، فأن الديانات الهندية مثلا كالبوذية والبرهمية وما شابههما تقر التفاوت بين الطبقات فتمنع « طبقة السودرا » مثلا من الثراء ، لأن هذا يؤلم نفوس « البرهميين » ثم هى لا تسوى بين الطبقات فى سداد الدين ، ولا بين الأخوة فى الميراث إذا اختلفت الأمهات ، والديانة اليهودية تحرم أن يقرض يهودى يهوديا بالربا ، ولكنها تبيح له الربا إذا أقرض أبناء الأمم الأخرى ولو كان مضاعفا ، كما أنها تأمر اليهود إذا ما انتصروا أن يكونوا أصحاب السيادة والثراء . أما المغلوبون فهم ما بين قتلى ومسخرين وغنائم . والديانة المسيحية جاءت دعوتها روحانية صرفة . وقد أغفلت روح التشريع فى السياسة والاجتماع وغيرهما فاصطدمت بواقع الحياة وانتهت إلى حزازات لا يهدأ لها أوار ، وهاهى ذى المبادىء التى صبغت بصبغة العلم حتى صارت مذاهب دان بها الناس لم تثبت طويلا ... ففى القرن الخامس قبل الميلاد دانت « أتينا » بمبدأ حرية الفرد ثم انتهت هذه الحرية ألى الأباحية المدمرة حيث كانت تحوى أكثر من مائة ألف رقيق ـ وفى عهد الرومان دان الرومانيون بالنظام وأسرفوا فيه حتى

انقلب إلى ظلم وطغيان – وفى العصور الوسطى طغت على الأفكار الدعوة إلى الوحدة الدينية فى بلاد الغرب وغولى فيها حتى انتهى هذا الغلو إلى الهوة السحيقة بين الشرق والغرب باشتعال نيران الحروب الصليبية بين الأسلام والمسيحية . . . وفى أوائل عصر النهضة الأوربية قامت الممالك تنصب على رؤسها ملوكا فى يدها أزمة شعوبها معتقدة أن سلطة الملوك وهبت لهم من عند الله بينما كان أولئك الملوك يستغلون هذه العقيدة فى الظلم والاعتساف وتبريرهما مع شعوبهم حتى أدى ذلك إلى انقلاب هذه الشعوب عليهم والعمل على ثل عروشهم . . . وفى عهد الثورة الفرنسية قامت الدعوة إلى الديمقراطية على أساس تمجيد الحرية ثم أسرف فيها أسرافا حط من قدرها . . . وفى أعقاب الحرب العظمى ظهر مبدأ القوميات والأجناس فأسرف كل من النازية والفاشستية فى هذا المبدأ وكانت النتيجة اشتعال نار الحرب العالمية ولما أطفئت شرارتها ظلت نار الحقد بين الشعوب المنتصرة تحت الرماد وظهرت الشيوعية مرة فى جسم نمر ومرة فى جلد أسد . . . والناظر إلى الأسلام بأمعان وأنصاف يجده الدين الوحيد الذى يستطيع أن يتألف تلك المذاهب ويهذب من حدتها ، موفقا بينها مجتمعة تحت رايته . فقد كفل الحرية بما رفع من مقام الأنسان . وقرر النظام بما أتى من أحكام الشرع . وجعل طاعة الله ورسوله وأولى الأمر واجبات يقوم بها الناس وهم راضون مع أعطائهم حق بذل النصح لأولى الأمر بأن يترفقوا بالناس ، وجعل للأنسان كرامة يجب أن يعتز بها بحيث لاتخرجه العزة عن واجب الأخاء الأنسانى العام . وجعل الجماهير والعامة أمانة فى ضمير الباقين ، وجعل العمل الذى للخدمة العامة عبادة والعمل الذى فى سبيل الرزق عبادة . ليصل

الدنيا بالآخرة ، ثم مزج بين الحق الذى يكون دفاعا عن العدوان ، والحق الذى يكون اشتراكا فى نظام عالمى . وقدر المساواة فيما تكافأت فيه المواهب والقدر ، أما إذا تميز الانسان بقدرة خاصة أو موهبة خاصة كان حرمانه الفضل ظلما ، ومن أجل هذا قعد تلك القواعد التى منها - الرجل وبلاؤه - الرجل وقدمه - الرجل وحاجته - إلى غير ذلك ... وكذلك قرر وجوب التوازن فى المجتمع ، فكره تكديس الثروات فى جانب . والحرمان فى جانب ... وبهذا مهد لقيام حكومة عالمية بعد أن وضع نظاما سياسيا عاما ، واجتماعيا عاما ، واقتصاديا عاما ... فهو لم يتخذ من روحانيته حصونا تعزله عن العالم وتمنعه من النشاط الفكرى والإنسانى ، وما فتوحاته المادية والروحية التى ملأت أسفار التاريخ إلا برهان ناصع ... ولقد أنصف « الىرتوماس أرنولد الانجليزى » إذ يقول :

« إن القوة المادية للاسلام التى انتشرت فى بغداد والأندلس وأفريقيا وإن تقلصت فيما بعد إلا أن فتوحاته الروحية ظلت فى طريقها لا يعترضها معترض . ففى الوقت الذى أغرقت بقايا مجد العباسيين فى بحر من الدماء على يد التتار وعصابات المغول سنة ١٢٥٨ م . وفى الوقت الذى طرد فيه المسلمون من قرطبة سنة ١٢٣٦ م . ودفعت « غرناطة » آخر معقل المسلمين فى أسبانيا الجزية للملك المسيحى ، كان الاسلام قد اكتسب أتباعا جددا فى (سومطرة) كما كان على وشك أن يبدأ انتشاره المظفر فى (جزائر الملايو) . . . والذى نعجب له حادثتان اعتنق فيهما الغالب الكافر دين المغلوب المسلم - أما الأولى - فالأتراك السلاجقة فى القرن الحادى عشر - وأما الثانية - فالمغول التتار فى القرن الحادى عشر أيضا - كذلك نقل المبشرون المسلمون عقيدتهم بدون مساعدة إلى الصين

وأواسط أفريقيا . والهند . ومن البوسنة إلى غانة الجديدة . وروسيا ومراكش . وزنجبار . وسيبيريا . إلى أن قال : وكما تعيش الديانات الأخرى فى قلب البلاد الاسلامية تشملها رعاية الحكم الاسلامى كذلك يعيش الاسلام بما له من قوة معنوية وقدرة على مشاكلة العصور والبيئات المختلفة بين الأمم غير المسلمة » . . . . . .

ولن يتسع المقام لاستعراض آراء أهل الرأى من ملوك وفلاسفة وباحثين فى سمو تعاليم الاسلام ـ فهو نهاية المراحل التى تنتهى إليها البشرية فى غايتها نحو الكمال ـ وهو حصن الأمان . حينما تخالط بشاشته القلوب ، كما يقول : « هرقل عظيم الروم » . . ثم إن فيه أمنية الحياة وراحة الموت ، كما يقول : « المنذر بن ساوى ملك البحرين » عند ما شرح حقيقته له (العلاء بن الحضرمى) ... وهو الدين الفذ الذى له قيمة ذاتيه . بحيث تستطيع الحضارات الاعتماد عليه . كما يقول (كارليل) ... وهو الدين الوحيد الذى انفرد بالتوحيد بين الأجناس . وقدر على حل مشاكلها . والتوفيق بينها كما يقول « جيب » ... ولعل الأوان قد آن لهذه الانسانية المعذبة . أن تستظل بظله الظليل فتستروح نسمات الحياة الهادئة المطمئنة التى يرفرف عليها الأخاء الانسانى الصحيح ، وتخفق راية العدل الكامل الشامل ، ذلك العدل الذى يصلها بعصر النبوات فتتسلح بسلاح روحى . به يكون السيف فى يدها حراثا ، والرمح منجلا ، وتتكافل تكافلا اجتماعيا يجعل الغنى لا يأكل حتى يتخم وبجانبه ألوف لا يجدون القوت ، وبهذا تقوم فى العالم من جديد حضارة لا يكون القوامون عليها الحارسون لها الأقوياء الفجرة ؛ بل الأتقياء البررة . .

* * *

إلى فتيان العروبة . وشباب الأسلام

أنتم اليوم أيها الفتيان ، والشباب . فى مفترق الطرق . . . عصر مادى يغريكم بالفتنة ، وحاضر مضطرب يوقعكم فى الحيرة . . فاسلكوا سبيل الماضى المجيد لأمتكم التى تمتدون فى تاريخها ، يوم كانت فى ميدان التعاطف والوئام ، والحضارة والمدنية ، أيادى متحدة ، وقلوباً مؤتلفة . .

* * *

أيها الفتيان ، أيها الشباب . . . إن الحياة الكريمة فى كل زمان ومكان مرهونة بالانتصار على الأخطار التى تهدد كيان المجتمعات ، ولن يأتى هذا الانتصار عفوا ، وإنما هو متوقف على عدم الخروج على نواميس الوجود ، وسنن الخالق الحكيم ، تلك النواميس والسنن التى لا تتخلف من أجل أحد ، ولا تتبدل فى أى زمن ، والتى ترتبط تمام الارتباط بالمثل العليا . . وهذه المثل ليست فى الكتب ، بل هى فى الحياة وفلسفتها ، وهى ذات برامج ودساتير ترسم للطالبين غاياتهم ومطالبهم ، حتى لا يظلوا محلقين فوق مشاغل الحياة المختلفة ، مبعثرين جهودهم بعثرة لا تجدى . . . فترسموا هذه البرامج والدساتير ، وارسموا لأنفسكم هذه الغايات والمطالب ، لأنها الحوافز التى تحفزكم إلى التفكير والعمل ، وهى الوسيلة إلى الفلاح والنجاح .

* * *

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، تخلصوا من تلك العقلية الغيبية التى غمرت بلدان الشرق ، فظلت ترتكن إلى الحظ والنصيب ، وترد المسببات إلى غير أسبابها ، فتواكلت وتأخرت . . . ثم لتكن عقليتكم عقلية علمية عملية ، تتكيف بأسلوب العدد والقياس وصبغ التفكير

فى كل صوره وأحكامه بطابع الاحصاء والحساب ، والنظر إلى الأمور نظرة رياضية ، تظهر خوافيها ، وتحدد أقدارها ، ولتكن لكم شخصية ، فيها قوة الاقناع ، وقوة التأثير ، وقوة التكيف بالوسط الذى تندمجون فيه ... ولتكن أخلاقكم أخلاقا متكافئة مع علم النفس . وحافز الضمير .

* * *

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، ليست السعادة كيسا من الذهب فى ذيل قوس من الغمام - بل هى بين أيديكم - هى أن تحبوا أنفسكم بأصلاحها ، وتحبوا الناس بخدمتهم ، هى فى سكينة النفس وطمأنينتها - هى فى المنطق الهادىء ، والقلب الوثاب المتزن ، هى فى أدراك الحقائق . والعيش فى الواقع ، فكونوا متكاملى نواحى الرجولة ، حتى تستطيعوا حمل التبعات ، واستغلال الحيوية الكامنة فيكم . والمشاركة - إذاما جاء دوركم - فى بناء عالم جديد ، عالم تسوده روح الديمقراطية الصحيحة ، والاخاء الحق ، والعدل الشامل .

* * *

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، اعملوا للعاجلة والآجلة ... واحذروا حياة اللهو والترف ، فاللذات السماوية هى التى صنعت فى كل قلب من قلوب أسلافكم قوته وعظمته ، فكانوا زلزلة وقعت فى التاريخ ، فنسفت ظلم الأكاسرة ، وجبروت القياصرة ... وهى التى جعلتهم أبطالا يصنعون من أشجار الحياة ثمارا ، ونسورا تطير بروح الشرارة الآلهية ، وتهبط بروح الغيث الملائكى ، حتى استخلفهم الله فى الأرض ، ومكن لهم دينهم . وبدلهم من بعد خوفهم أمنا .

* * *

أيها الفتيان ، أيها الشباب ، الدنيا مجاز . يعبر عليه الناس ، فكونوا على قدم الاستعداد ، إذا ما وقف ركب الحياة ليحملكم إلى الغاية التى ينتهى إليها كل حى . . . إذ أن الحياة التى لانهاية لها على هذه الأرض غير مرغوب فيها ، والقلب الانسانى دائما يتلهف إلى نوع من الوجود فيما وراء هذه الحياة الضيقة الفسحة ، وتأبى رحمة الله أن توصد الأبواب . جعلنا الله وإياكم مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ؟



سنة ١٣٦٩ ﻫ
سنة ١٩٥٠ م

محمد البندارى

مصادر الكتاب

القرآن الكريم . . . .

تفاسير القرآن . . . . . للنسفي والزمخشري والقرطبي

الصحيحان . . . . للبخاري ومسلم

العهدان القديم والجديد . . . .

مقدمة ابن خلدون وتاريخه . . . . لابن خلدون

دائرة معارف القرن العشرين . . . لمحمد فريد وجدي

محمد . . . . لمحمد حسين هيكل

الاسلام وأصول الحكم . . . . . لعلي عبد الرازق

على هامش السياسة . . . . لحافظ عفيفي

شجرة الحكم . . . . لتوفيق الحكيم

أهل الحق العارفون بالله . . . للسيد محمد الحافظ التيجاني

المجتمع ومشاكله . . . . لابراهيم رمزي

الخدمات الاجتماعية . . . . . . بقلم - ز - م - ي - د

خطط الشام . . . . لمحمد كرد علي

مذكرات جمال باشا . . . . لجمال باشا

من وحي فلسطين . . . . لاحمد رمزي

تاريخ فلسطين . . . . لجول كنثور

المستقبل اليهودي . . . . لهاري ساقي

الثورة العربية . . . . لأمين السعيد

الرسالة الخالدة . . . . لعبد الرحمن عزام

عبقرية عمر . . . . لعباس العقاد

تاريخ اليهود في جزيرة العرب . . . لاسرائيل ولفنسون

قرارات الجامعة العربية. وعصبة الامم وهيئة الأمم . ولجانها العلمية والادبية

فهرست الكتاب

صفحة

للمؤلف

كتاب الاخلاق والتربية الوطنية
« وحى المرأة
« نحو عروبة جديدة
« وحى السودان

م . التوكل - ٣٣٤ ش الخليج المصرى



البنداري، محمد
نحو عروبة جديدة

DS
38
B5

